الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة إبن خلدون – تيارت– الإنسانية و الاجتماعية

كلية العلوم

– قسم العلوم الإنسانية–

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي حديث ومعاصر

الموسومة بـ:

النّخبة الفرنسية المثقّفة و دورها في الثّورة الجزائرية

فرانسيس جونسون أنموذجا1954م/1962م

تقديم الطالبتان: تحت إشراف الأستاذ

–دحّو أم الخير. –مصطفى عتيقة.

–بلكرشة فتيحة.

لجنة المناقشة:

بلّيـــل محمّـــد	رئيســـــا.
مصطفى عتيقـــــة	مشرفاً و مقرراً.
أوسليم عبد الوهاب	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1435–1436هـ/ 2014– 2015م

شكر وتقدير

*الحمد لله الذي وفقنا لهذا وماكنّا بالغيه.

*الشكر الموصول للأستاذة المشرفة **"مصطفى عتيقة"** التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها وصبرت على تكاسلنا في العمل.

*إلى الذي وقف بجانب الجميع وكان لنا خير ناصح، الدكتور **"كمال بن صحراوي"**.

عمّال المكتبات خاصّة عمّال المكتبة الجامعية بكلية العلوم الإنسانية بجامعة "الجيلالي اليابس" سيدي بلعباس.

* إلى كل من سهّل علينا دربا يوما، طيلة المدّة التي مكثنا ندرس.

إهـــــداء

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار...إلى من علمني العطاء دون انتظار...إلى من أحمل اسمه بكل افتخار...أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى الثمار...قد حان قطافها بعد طول انتظار ... **أبي الحبيب**

إلى ملاكي في الحياة...إلى حبة حياتي حتى الممات...إلى من كان دعائها سر نجاحي... وحنانها بلسما لجراحي.... **إلى أغلى الحبايب**

أمي الحبيبة.

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة و النفوس البريئة .....

إلى إخـوتي

إلى رفيقات دربي...و حبيبات قلبي...وإلى من وقفن إلى جنبي...في فرحي و كربي...

إلى أخواتي

إلى توأم روحي و رفيقة دربي، إلى صاحبة القلب الطيب و النوايا الصادقة إلى من رافقتني منذ أن حملنا حقائب صغيرة، ومعك سرت الدرب خطوة بخطوة وما تزال ترافقني حتى الآن.

إلى حبيبتي نور الهدى

و إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن لي أمي، من تحلوّا بالإخاء و تميزوا بالوفاء و العطاء، إلى ينابيع الصدق الصافي، إلى من معهم سعدت، و برفقتهم في دروب الحياة الحلوة و الحزينة سرت، صديقاتي: فاطمة و فاطمة و فاطمة و حياة و أمينة.

إلى جميع صديقاتي بدون ذكر أسمائهم.

فتيحة بلكرشة.

إهداء

*إلى صانعة نجاحاتي التي لم ترفض كل طلباتي المجنونة، درّة أبي المكنونة **"أمي حبيبتي"**

*إلى **"أبي"**، ظل حماني علّمني وربّاني، وإلى الصواب هداني.

*إلى إخوتي وأخواتي.

*إلى رفيق العمر زوجي**"جلال"**.

*إلى صديقاتي التي وفين لي، وفي الله أحببتهم، ... إلى خير صاحبة **"فتيحة"**.

*إلى من شاركتني هذا العمل **"فتيحة"**، وعائلتها الذين فتحولي بيتهم واعتبروني فردا منهم.

*إلى إدارة كلية العلوم الإنسانية بجامعة بن خلدون الذين فتحوا لي بابا أغلق في وجهي في أماكن أخرى، وفي مقدّمتهم أستاذي **"كمال بن صحراوي"**.

*إلى من شحذا همتي دوما، أساتذتي بالمدرسة العليا للأساتذة بوزريعة: الدكتور **"أحمد مريوش"**، و**"الدكتور محمّد علوات"**.

أم الخير

خطّة البحث:

مقدّمة

مدخل

الفصل الأوّل: موقف النخبة الفرنسية المثقّفة من الثورة الجزائرية.

المبحث الأوّل: اندلا ع الثورة والنخبة الفرنسية المثقّفة.

1- الصحافة.
2- رجال الفكر.

المبحث الثاني: موقف النخبة الفرنسية المثقّفة من التعذيب في الجزائر.

1- أساليب التعذيب في الجزائر.
2- موقف المثقفين الفرنسيين من أساليب التعذيب.

الفصل الثاني: فرانسيس جونسون وفكره السياسي.

المبحث الأوّل: النشأة والتعليم.

1- النشأة.
2- التعليم.

المبحث الثاني: فلسفته من خلال مؤلفاته وموقفه من الفكرة الكولونيالية.

1- جونسون والشيوعية.
2- علاقته بالفكر الشخصاني.
3- الثورة من خلال كتابات جونسون.

4- موقفه من الفكرة الكولونيالية.

الفصل الثالث: فرانسيس جونسون والثورة الجزائرية.

المبحث الأوّل: تأسيس شبكة جونسون.

1- التأسيس والأعضاء.

2- مهام الشبكة.

المبحث الثاني: مصير الشبكة وصدى المحاكمة.

1- المطاردة والإيقاع.

2- المحاكمة منبر لمناهضة الإستعمار.

خاتمة.

ثبت المختصرات:

جـ . ت . و (FLN): جبهة التحرير الوطني.

MTLD: حركة الإنتصار للحريات الديموقراطية.

GPRA: الحكومة الجزائرية المؤقتة.

مقدّمة:

–تتّفق جميع الكتابات التاريخية على أنّ الاستدمار الفرنسي في الجزائر جسّد أبشع صوّر الاحتلال التي عرفها التاريخ، مصنّفة ثورة التحرير الجزائرية في مستهلّ قائمة أعظم ثورات القرن الـ20م، ذلك أنّ من مميّزاتها أنّها نقلت الثورة إلى أرض العدو، وكسبت دعما عالمياً واسعا من الدول الصديقة والشقيقة، بل وحتّى من الفرنسيين أنفسهم خاصّة الطبقة المثقّفة.

لا ريب أنّ الحرب التي خاضها الشعب الجزائري ضدّ فرنسا كانت حربا تحريرية، إلاّ أنّ الفرنسيين يصرّون على تسميتها حرب، وموقفهم منها لا يختلف عن رأيهم فيها؛ فبالنسبة لهم هي عمل إرهابي هزّ أمن فرنسا في الجزائر ولا بدّ من القضاء عليه (التهدئة)، إلاّ أنّ هذه النظرة لم تكن محلّ اتفاق الجميع؛ فقد وجدت فئة من المثقّفين الفرنسيين الذين وقفوا ضدّ العمل الاستدماري الفرنسي في الجزائر.

ومن جملة الذين وقفوا في صفّ مناهضة الاستعمار ومواصلة الحرب في الجزائر ثلّة من مثقفي اليسار الفرنسي، الفلاسفة خاصّة أمثال "جون بول سارتر"، و"فرانز فانون" الذين لم يبخلوا بأقلامهم ولا مواقفهم، وقد تجاوز دورهم مجرّد الكلام فانتقل إلى مرحلة تجسيد الأقوال في الأفعال.

كان الفيلسوف اليساري "**فرانسيس جونسون** Francis Jonson " سبّاقا إلى مبادرة التطبيق بتأسيسه لشبكة دعم لوجيستي متكوّنة من أساتذة وصحفيين وفنانين، مهمتهم جمع أموال جبهة التحرير ونقلها عبر البنوك الأوربية، وقد ظهرت هذه الشبكة بين سنتي 1956م- 1957م؛ في خضم عوامل عالمية ومحلية. ميّزها تعالي الأصوات الداعية إلى النضال ضدّ الاستعمار.

ولعلّ الحديث عن مناهضة الاستعمار يجرّنا إلى النبش في تاريخ الصراع العالمي الذي كان قائما بين الرأسمالية الإمبريالية ، والشيوعية المناهضة للاستعمار والداعمة لحركات التحرّر، ومن ثمّة يمكن إسقاط الكل العالمي على الجزء الفرنسي، لنستكشف الصراع الداخلي الذي كان قائما بين اليمين واليسار.

إلى وقت قريب كان موضوع موقف المثقفين الفرنسيين من الثورة الجزائرية لا يزال أعذراً في غالبه لم تطمثه أيدي الباحثين، ولكن في السنوات الأخيرة ظهرت مجموعة من البحوث والمقالات والملتقيات التي تطرّقت إلى بعض هؤلاء خاصّة "**جون بول سارتر**"؛ الذي خصّه الدكتور عبد المجيد عمراني بدراسة خاصّة تحت عنوان "**جون بول سارتر والثورة الجزائرية**"، وفرانز فانون؛ الذي كتب عنه محمّد الميلي "**فرانز فانون والثورة الجزائرية**"، كما نظّمت جامعة الطارف ملتقى حوله خلال السنة الجامعية الجارية (2014- 2015م)، ورغم الخطوة الجريئة التي أقدم عليها جونسون إلاّ أنّ لا أحد من الأقلام الجزائرية اهتم به، إلاّ ما كتبته الجرائد عن وفاته، وهو نفسه الأمر الذي لفت انتباهنا إلى الموضوع.

-فكان موضوع بحثنا :"**موقف المثقفين الفرنسيون من الثورة التحريرية 1954-1962م** " على أن يكون "**جونسون وشبكته**" الأنموذج المخصوص بالدّراسة، بهدف الالتفات إلى دور هذه الشريحة عامّة، وهذا الرجل خاصّة.

-وإضافة إلى ما سبق ذكره دفعنا إلى اختيار الموضوع أسباب أخرى منها؛ أن المواضيع يقترحها المجلس العلمي وعلينا الاختيار من ضمنها فكان هذا أقرب إلى تاريخ الثورة الذي فضّلنا أن ندرس موضوعاً ضمن إطاره الزماني والموضوعي.

وقد بنينا إشكالية الموضوع على مجموعة من التّساؤلات تتجه تدريجياً من الفصل الأوّل إلى الأخير، محاولين الانتقال من الكل الذي هو النخبة الفرنسية المثقّفة إلى الجزء الذي هو "فرانسيس جونسون"، كما تجدر الإشارة إلى أغلب الذين ساروا في فلك "**جونسون**" كانوا يساريين، أي يحسبون على الكفّة المعادية للاستعمار واليمين في نفس الوقت، ولذلك جاءت إشكالية بحثنا بناءا على هذه الفكرة:

هل كان دعم المثقفون الفرنسيون عامّة وشبكة جونسون خاصّة للثورة التحريرية رغبة في دعم حريّة الشعوب، أم حقدا على اليمين الفرنسي؟

– كان اندلاع الثورة فجر الفاتح نوفمبر 1954م نتيجة حتمية للسياسة الاستعمارية، وفي نفس الوقت مفاجأة للجميع، فكيف كانت ردّة فعل الأوساط الثقافية الفرنسية على الحدث؟ وماهو الموقف الذي اتخذه كل طرف؟

وإذا كان التعذيب من أكبر الاختراقات التي انتهكها الاستعمار الفرنسي في الجزائر وأثار حفيظة جميع الأطراف، فماذا كان رأي هؤلاء المثقفين في قضية التعذيب؟

ولما كان جونسون هو المخصوص بالدراسة، كان لابد من التساؤل عن مولده ونشأته؟ وفكره ومؤلّفاته؟، وكيف أسّس كل ذلك لموقفه من الثورة الجزائرية؟.

أسّس جونسون شبكة كان لها دور في دعم الثورة الجزائرية، أغلب عناصرها فرنسيين فما تاريخ هذه الشبكة؟ وما موقف السلطات الفرنسية منها؟، وما حقيقة الدعم الذي قدّمته للثورة الجزائرية؟.

وللإجابة على هذه التساؤلات، اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي لسرد الأحداث ، ثمّ التّحليلي لتحليلها ومحاولة كشف الغموض عن بعض جونبها ، ومحاولة التوصّل إلى الحقيقة، كما كان للإستنتاج نصيب في البحث خاصّة إذ ما تعلّق الأمر بدوافع أولئك الفرنسيين الذين رفضوا مواصلة الحرب في الجزائر. أكانت بدافع المبادئ لوحدها أم هناك خلفيات سياسية تعود إلى الخلاف الداخلي في فرنسا.

– الصعوبات التي واجهتنا تقليدية لابد أن يواجهها أي باحث، ولكن هناك أشياء لابد من ذكرها و أوّلها : أنّ الموضوع غير مستهلك دراسياً تماماً لذلك صعب علينا جمع المادّة الشبه منعدمة ممّا حتّم علينا التنقّل إلى ولايات أخرى. وإذا قال قائلٌ أنّ التنقّل أضحى سهلٌ بكثير ؛ فإنّ سفر المرأة لوحدها لا يزال مستصعبٌ نوعا ما في بلدنا . وهو السبب الثّاني، وأمّا عن أكبر مشكل واجهنا فهو حاجة هذه الدراسة إلى المراجع الأجنبية التي لم نعثر عليها في غالب الأحيان، وإن عثرنا على بعضها عجزنا عن استخدامها بشكل جيّد بسبب ضعفنا في اللغة الفرنسية.

وأمّا عن المادّة التي استهلكنا في البحث؛ فقد كانت شبه شحيحة من حيث الدراسات المتخصّصة ماعدا المصدر المهم **"حملة الحقائب"** لصاحبيه هيرفي هامون وباتريك روتمان، وكتاب "فرانسيس جونسون الفيلسوف المناضل" لصاحبته "ماري بياراولوا؛ رغم أنّه أنفع لطلبة الفلسفة من التاريخ، ونظراً لشحّ الدراسات المتخصّصة لجأنا إلى الدراسات العامّة والشبه متخصّصة مثل كتابات "عبد المجيد عمراني" (النخبة الفرنسية المثقّفة والثورة الجزائرية 1954-1962م)، وجون بول سارتر والثورة الجزائرية)؛ كما لاحظنا أنّ المرجعين الأخيرين يحملان نفس المحتوى لذلك كان اعتماد أحدهما فقط يكفي في أغلب الأحيان.

ومحاولة للإجابة عن الإشكالية وباستثمارنا للمادّة، قسّمنا موضوعنا إلى ثلاثة فصول سبقناها بمدخل تناولنا فيه ردود الفعل العالمية من الثورة الجزائرية ليتسنّى لنا الإنتقال التدريجي نحو موضوع الدراسة.

أوّل الفصول كان حول موقف النخبة المثقّفة الفرنسية بصفة عامّة من الثورة؛ وقد اخترنا رأيين مناصرين **فرانز فانون** و**جون بول سارتر**، ورأي معارض وهو **ألبير كامو**، ثمّ تناولنا التعذيب حتّى يتسنّى لنا تناول أكثر عدد ممكن من المثقفين فاستعرضنا رأي **هنري علاّق** في التعذيب.

وثانيها درسنا فيه جونسون؛ مولده، ونشأته، وكتاباته، وفلسفته، أو بالأحرى تدرّج فكره وصولاً إلى قناعة الإنتقال من الدعم بالقول إلى الفعل.

وفي الفصل الثالث كان لُبُّ الموضوع محل الدراسة؛ شبكة جونسون من تاريخ تأسّيسها، ومهامها، إلى أعضائها، والقبض عليهم، ومحاكمتهم وكيف تمكّن جونسون من تحويل المحاكمة إلى صالحه.

فنرجوا أن نكون قد ساهمنا ولو بالجزء اليسير في كتابة تاريخ الثورة من هذه الزاوية، التي نتمنّى أن يلتفت إليها المؤرخون الجزائريون حتّى يتسنّى للقارئ فهم الموضوع بشكل أفضل والله المستعان على ذلك.

المدخل:

كان الوضع العام للجزائر قبل 1954م، وعلى مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تنذر بحدوث تطورات وتغيرات، إن لم تعد السلطات الفرنسية النظر في سياساتها الزجرية، خاصّة فيما تعلّق بتعاملها مع زعماء الحركة الوطنية. فقد دأبت على التضييق والقمع في الوقت الذي زادت فيه حدّة مطالب الحركة الوطنية، ممّا أقنع جميع الأطراف بضرورة التغير في أسلوب التعاطي مع فرنسا، خاصّة بعد مجازر الثامن ماي 1945م.

في ربيع 1953م انفجرت أزمة في بيت حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (MTLD) بعد طول صراع سببه الرئيسي هو فردية القيادة[1]، وانشقّ الحزب إلى فئتين متصارعتين، وبقيت ثالثة محايدة واصلت العمل الثوري سرّا فأسّست اللجنة الثورية للوحدة والعمل (CRUA)، في 23 مارس 1954م، التي راح أعضاؤها يبحثون في سبل تفجير الثورة بعد إحياء المنظّمة الخاصّة لتكون النواة التي سينشأ منها جيش التحرير الوطني، في حين سيتحوّل الحزب إلى جبهة التحرير الوطني (FLN)، وقد تم وضع اللمسات الأخيرة للتحضير لاندلا ع الثورة التحريرية في اجتماعي 10 و24 أكتوبر 1954م بالجزائر من طرف لجنة الستة . ناقش المجتمعون قضايا هامة هي : إعطاء تسمية للتنظيم الذي كانوا بصدد الإعلان عنه ليحل محل اللجنة الثورية للوحدة والعمل وقد اتفقوا على إنشاء جبهة التحرير الوطني وجناحها العسكري المتمثل في جيش التحرير الوطني. وتهدف المهمة الأولى للجبهة في الاتصال بجميع التيارات السياسية المكونة للحركة الوطنية قصد حثها على الالتحاق بمسيرة الثورة، وتجنيد الجماهير للمعركة الحاسمة ضد المستعمر الفرنسي, تحديد تاريخ اندلا ع الثورة التحريرية : كان اختيار ليلة الأحد إلى الاثنين أول نوفمبر 1954م، كتاريخ انطلاق العمل المسلح يخضع لمعطيات تكتيكية – عسكرية، منها وجود عدد كبير من جنود وضباط جيش الاحتلال في عطلة نهاية الأسبوع

[1] – بن يوسف بن خدّة: جذور أوّل نوفمبر، تر: مسعود حاج مسعود، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2012م، ص265.

يليها انشغالهم بالاحتفال بعيد مسيحي، وضرورة إدخال عامل المباغتة. تحديد خريطة المناطق وتعيين قادتها بشكل نهائي، ووضع اللمسات الأخيرة لخريطة المخطط الهجومي في ليلة أول نوفمبر 1954م. فكانت الثورة في نفس الليلة التي تمّ تحديدها، كما زاوج القادة نشاطهم العسكري بنشاط إعلامي تجسّد في "بيان أوّل نوفمبر" الذي كشف عن أهداف الثورة، وأسبابها داعيا جميع الأطراف إلى الانضمام ومقترحا التفاوض مع فرنسا.

ردود الفعل العالمية والفرنسية على الثورة الجزائرية.

1-العالم الغربي

في المعسكر الغربي بذلت الحكومة الفرنسية مجهودات كبيرة لتحسيس الدّول الغربية و الولايات المتّحدة الأمريكية للوقوف إلى جانبها في حربها ضدّ الجزائر،وخوّفت أمريكا من المدّ الشّيوعي الذي سيلحق بها إن نالت استقلالها، فوقفت كلّ من إنجلترا و الولايات المتحدة الأمريكية ،ودعّمتها سياسيا في هيئة الأمم المتّحدة و عسكريا بمدّها أسلحة الحلف الأطلسي،وهذا ما صرّح به سفير الولايات المتّحدة الأمريكية للصّحافة في باريس"أمريكا تؤيّد تأييدا مطلقا السّياسة الفرنسية في شمال إفريقيا."[1]

و تجدر الإشارة للموقف المشرّف الذي أبداه عضو مجلس الشّيوخ الأمريكي، والذي أصبح فيما بعد سنة 1961م رئيس الو.م.أ وهو "**جون كندي**John Kennedy " في محاضرته التي ألقاها يوم 02 جويلية 1957م المساندة لحركات التّحرّر العالمية في آسيا و إفريقيا و التي عالج فيها بالأخص ثورة الجزائر،وفضح سياسة فرنسا الاستعمارية، فاعتبرت الحكومة الأمريكية هذه المحاضرة بمثابة تشجيع

[1]-عمار عمّورة، موجز في تاريخ الجزائر،دار ريحانة الجزائر،2002،ط1 ،ص 204.

للثوار الجزائريين لأنّها كانت ترى أنّ القضية الجزائرية مشكل داخلي لفرنسا،بينما كان ردّ فعل فرنسا شديد اللّهجة اتّجاه كندي.[1]

أمّا الكتلة المضادّة؛ الاتّحاد السوفياتي فصرّح "**غورباتشوف** Gorbatchev" أنّ الاتّحاد السوفيتي لا يتدخّل في الشّؤون الدّاخلية لدول أخرى،أمّا المعسكر الشّيوعي باستثناء الصّين ويوغسلافيا التي وقفت في السّنين الأولى مع الثورة الجزائرية فإنّ معظم الأنظمة الشيوعية الأخرى لم تعترف بالثورة ابتداء من الستينات.

2-فرنسا:

وبالنسبة للحكومة الفرنسية؛ دبّ الرعب في حكومة باريس صبيحة الفاتح نوفمبر فاضطربت ردود الأفعال؛ حيث صرّح رئيس بلدية الجزائر "**جاك شوفالي** Jacques Chevalier"، بأنّ فرنسا لن تقبل بأي صفة كانت إرهاب جماعي أو فردي، وستتخذ الإجراءات اللازمة، كما أكّد وزير الداخلية الفرنسية **فرانسوا متران** François Mitterrand" أنّ فرنسا لن تتفاوض مع الإرهاب، وصرّح عبر الإذاعة مهدّداً: "إنّ القوّة الفرنسية ستحافظ على الوحدة الوطنية، والمتمردون المشاغبون، بمهاجمتهم مواطنينا الجزائريين، وقد استفزّوا ضدّهم القوة الفرنسية، وإذا كان المتمردون قد أرادوا أن يلفتوا نظر الرأي العام عشية انعقاد دورة هيئة الأمم المتحدة فإنّهم مخطئون ذلك أنّ الجزائر هي فرنسا، وفرنسا لن تعترف بأية سلطة أخرى غير سلطتها"[2].

---

[1] -عمار عمّورة ،المرجع نفسه، ص 204.

[2] - غالي الغريبّ: فرنسا والثورة الجزائرية 1954-1958م، غرناطة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص ص 226-227.

فقد قامت في الأسبوع الأول من نوفمبر بإلقاء القبض على المناضلين في حزب **مصالي الحاج** و المناضلين في حركة انتصار الحريات الديمقراطية أمثال **بن يوسف بن خدّة** و عبد **الرحمن كيوان** و اعتبارهم بمثابة قادة للحركة الثّورية في أوّل نوفمبر1954م[1].

كما أعلن رئيس الحكومة الفرنسية **منديس فرانس** Mendes France أمام الجمعية الوطنية يوم 12 نوفمبر 1954 بأنّ" فرنسا لن تتفاوض مع أيّ طرف...،و لا يمكن التّفكير في فصل الجزائر عن فرنسا..."

أمّا المقيم العام بالجزائر "روجي ليونارد" فقد وصف الثّورة بأنّها"عبارة عن تمرّد بعض الأعراش و أنّ المتمرّدين عبارة عن مجموعة من اليساريّين ينتمون إلى الشيوعية العالمية..."، باختصار فانّ ردّ فعل جميع المسئولين الفرنسيين يتمثّل في استعمال القوّة لقمع الثّائرين و إلقاء القبض على جميع المناضلين أينما كانوا ففي نهاية نوفمبر 1954 تمكّنت قوّات الشّرطة الفرنسية من سجن 750 مناضل،و في نهاية سنة 1954 بلغ عدد المسجونين 2000 مناضل[2]، متبعة سياسة "البرتقالة المرّة"، أي سجن كل من اشتبه فيه، ومن ثمّة عمدت القوات الفرنسية إلى إخلاء أرياف الأوراس من الشعب لأنّهم أدركوا أنّه سر نجاح هذا النوع من حروب العصابات، ماسمي "بنظرية تجفيف الماء من حول السمك"[3].

أمّا ردّ فعل الوالي العام **روجي ليونارد** فانّه أبدي اندهاشه أمام التّناسق الذي تمّت به العمليّات عبر مختلف أنحاء البلاد،و راح يؤكّد أنّ كلّ القرائن تثبت أنّ عناصر أجنبيّة هي التي خطّطت،وهي تقود

---

[1] – عمار بوحوش،التاريخ السياسي للجزائرمن البداية و لغاية 1962،دار الغرب الاسلامي،1997،ط1، بيروت, ص 404.

[2] –عمار بوحوش،المرجع السابق،ص ص 405–406.

[3] –عثماني مسعود: الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب، دار الهدى، الجزائر، 2012م، ص ص 141–142.

التّمرّد قصد تجنيد الرّأي العام بمناسبة انعقاد الدّورة العادية للأمم المتّحدة والتّمكّن من فتح ملف المغرب العربي أمام تلك الهيئات الدّولية.[1]

ولكن المعمّرون أو المستفيد الأكبر من احتلال فرنسا للجزائر فبمجرّد اندلاع الثّورة التّحريرية استولى الهلع والفزع على أوروبيي الجزائر واعتبروه زلزالا يهدّد كيانهم ومصيرهم في هذا البلد، وطلبوا الحماية من الجيش، وحمل السّلاح وقمع ثورة نوفمبر، وشرعوا في إعداد الميليشيات، وشراء الأسلحة[2].

لم يكن الرأي العام الفرنسي موحدا اتجاه الثورة التحريرية، فقد تضارب بين رفض وتخوف الحكومة الفرنسية، وفي نفس الوقت قمع الجيش الفرنسي الثورة في الداخل، ومعارضة قطعية من المعمرين، كما شهد هذا الموقف تطورا بتطور الأحداث المحلية، والظروف العالمية، خاصّة بعد تصفية الاستعمار وتضرّر فرنسا من نفقات الحرب، والشعب الفرنسي من تجنيد أبنائه، وبروز طبقة من المثقفين الفرنسيين جهرت بمعارضتها للحرب في الجزائر.

[1] -محمد العربي الزبيري،تاريخ الجزائر المعاصر(1954-1962)، ج2،اتحاد الكتّاب العرب دمشق،1999،ص 16.

[2] -عمار عمّورة، المرجع السابق،ص 203.

الفصل الثاني:فرانسيس جونسون وفكره السياسي.

المبحث الأوّل: النشأة والتعليم.

1- النشأة.

2- التعليم.

المبحث الثاني: فلسفته من خلال مؤلفاته وموقفه من الفكرة الكولونيالية.

1- جونسون والشيوعية.

2- علاقته بالفكر الشخصاني.

3- الثورة من خلال كتابات جونسون.

المبحث الأوّل: النّشأة والتّعليم:

1-النشأة:

يقول بن خلدون "الرّجل بن بيئته"؛ ويقصد بذلك أنّ للبيئة يد طولى في تكوين الشخصيات، بما فيها من تحولات وتغيرات وأحداث ومركبات إقتصادية واجتماعية. وقد نشأ فيلسوفنا في خضم الكثير من كل ذلك فطفولته كانت بين الحربين العالميتين، وشبابه وخدمته العسكرية كانت خلال أشرس حرب عرفها تاريخ البشرية، وفي مراحل لاحقة من التاريخ عرفت فرنسا صراعا داخليا بين اليسار واليمين في حين كان العالم يسير وفق منطق الثنائية القطبية، ضف إلى ذلك الإنتاج الفلسفي والفكري الذي توسّع ليدخل دائرة التنديد بما يمسّ بحق الإنسان وقد كان الاستعمار أولى بهذا الرفض وهذه القطيعة.

ولد الفيلسوف "فرانسيس **جونسون** Françis Jeanson"(أنظر الملحق رقم 01) سنة 1922م ببوردو في فرنسا[1]، تحصّل على شهادة البكالوريا في10 جويلية 1940م في شعبة الفلسفة، وسجّل بعد ذلك في كلية الآداب بجامعة بوردو، بقسم الفلسفة للحصول على شهادة ليسانس. ولأنّ الفترة المذكورة شهدت اضطهادا واسعا لليهود في أوروبا طلبت إدارة الكلية من جونسون في 29 أكتوبر 1941م إحضار شهادة إثبات عدم اعتناقه الدّيانة اليهودية، ليصاب الفيلسوف في نهاية السنة بداء السلّ لأوّل مرة خلال الشّتاء، ورغم المرض تمكّن من الحصول على دبلوم الدّراسات العليا في 10 جوان 1943م[2].

وخلال الحرب الإمبريالية الثّانية اشتبه في **جونسون** بسبب نشاطه السياسي السري فتمّ استدعاؤه من قبل مصالح حماية الإقليم الفرنسي في 28 جوان 1943م، ففرّ عبر الأراضي الإسبانية ليقع بين يدي شرطة **فرانكو** Franco في اليوم الذي أتمّ فيه الواحد والعشرين ربيعا من عمره، وزجّ به في أشهر المعتقلات الفرانكاوية "**ميراندا دي إبرو** Miranda de Ebro"، ومن ثمّة تمّ تحويله إلى سجن

[1]-عاشور شرفي : قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)، تر: عالم مختار، دار القصبة، ص121.

[2]- ماري بياراولوا: المصدر السابق، ص319-321.

"**بالنياريو مولينار دي كارانزا** Balniario Molinar de Caranza" الإسباني في 30 سبتمبر 1943م، ولم يطلق سراحه إلّا في آخر يوم من السنة[1].

وإثر خروجه من السّجن دخل **جونسون** إلى الشّمال الإفريقي فتمّ تجنيده في 04 ديسمبر 1943م في صفوف جيش إفريقيا، وخلال فترة الخدمة العسكرية انتدب "**جونسون**" إلى المديرية العامّة للعتاد قرب الجزائر العاصمة في 30 جانفي 1944م، ليصبح بعدها مسؤولا عن مخازن الذّخيرة بوهران ابتدءا من 27 سبتمبر من نفس السنة[2].

في 19 ديسمبر من نفس السنة عاد **فرانسيس** إلى مرسيليا، فالصراع كان قد احتدم وأصبحت المعركة حامية الوطيس بين النّازية والحلفاء وقد احتاجت فرنسا إلى قوّاتها المشتّتة بين المستعمرات وبذلك حوّل إلى القتال في جبهة الألزاس ليسرّح من الخدمة العسكرية في نهاية الحرب في أوت من صائفة 1945م[3].

2-التعليم:

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها واستتبّ الوضع عاد **جونسون** إلى نشاطه العلمي والسّياسي وشرع في التّحضير لبلوغ درجة الأستاذية في الفلسفة بجامعة **السّوربون** Sorbon، ولكن داء السل حال دون ذلك. فلجأ إلى الكتابة الصّحفية فراح يكتب مقالات في صحيفة "**لافرانس أنتريور** La France interieure" سنة 1947م كما أصدر أوّل انتاج فكري له بعنوان "**المشكل الأخلاقي وفكر سارتر**" الذي كتب له سارتر تقديما[4].

---

[1]- ماري بياراولوا: المصدر السابق، ص21.

[2]- ماري بياراولوا: نفسه، ص321.

[3]- ماري بياراولوا: ا نفسه، ص321.

[4]- ماري بياراولوا: نفسه، ص322.

وقد كان **جونسون** متأثّرا بسارتر إلى حدّ بعيد و أصبح من أبرز مريديه، وزيادة على هذا الانتماء السارتري امتلك **فرانسيس** مؤهلات فكرية متميّزة سطع من خلالها نجمه مع مجلتي "**اسبري** Hesprit" و"**الأزمنة الحديثة** Temps Modernes" خاصّة؛ التي التحق بها بداية من 1948م بإيعاز من الفيلسوف "**ميرلو بونتي** Mirlo Ponti ". وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ ارتباط جونسون بسارتر لم يكن سرّ نجاحه، فقد كان الرجل حاصل على ليسانس في الآداب ودبلوم في الدراسات العليا الفلسفيّة، ناهيك عن ماضيه في المقاومة السّرية ضدّ النّازية، وهو الأمر الذي دفع برئيس المجلّة إلى التّخلي على منصب رئاسة التحرير **لجونسون** فظلّ يتولّى رئاسة المجلّة بين (1951-1956م).[1]

كانت مجلّة "اسبري" ذات توجّه كاثوليكي، ورغم هذه المفارقة بين هذا التوجه وفكر **جونسون** اليساري الوجودي؛ إلاّ أنه لبّى دعوة الكتابة فيها ابتداءا من سنة 1950م، وظلّ يكتب وفق فكره لا وفق ميول المجلّة [2].

بعد استعراضنا شذر ما عثرنا عليه من مادّة حول نشأة **جونسون**، يتّضح للقارئ أنّنا اعتمدنا عرض النّتائج دون اللّجوء إلى التّحليل أي أنّنا تعرّضنا للمحطّات الكبرى في حياة الفيلسوف دون تحليل الظّروف المحيطة بها، ومنها العوامل التي كانت وراء تكوين شخصيته خاصّة الأسرية والتعليمية منها، وهو أمر مهم لهذا النوع من الدراسات البيوغرافية كما سبق التوضيح في مستهلّ الفصل. ذلك بسبب ندرة المادّة في الموضوع فكل ما عثرنا عليه من كتابات حول الرجل كان يدور حول فكره وفلسفته ولم يلتفت الدّارسون إلى هذه الجوانب حتّى المتخصّصة في سيرة الرجل منها مثل مؤلّف **ماري بيارالوا "فرانسيس جونسون الفيلسوف المناضل"**.

[1]- ماري بياراولوا: المصدر السابق، نفسه، تحليل مترجم الكتاب ص 29.

[2]-ماري بيارا اولوا: نفسه، ص37.

المبحث الثاني: فلسفته من خلال مؤلفاته وموقفه من الفكرة الكولونيالية

1- جونسون والشيوعية

من خلال ما جمعنا حول فكر **جونسون** أدركنا أنّه ينتمي إلى المدرسة الوجودية متأثّرا بكبير الوجودية **سارتر**، وتعنى الوجودية بدراسة الإنسان بشكل مفصّل من ميوله وتأثّراته إلى حقوقه وأعماله، ولذا كان الوجوديون في مقدّمة أولئك الذين حملوا على عاتقهم الدفاع عن هذه الحقوق، ومرجعيتهم في ذلك تعود إلى شدّة إيمانهم بهذه الأطروحة.

ولسنا هنا بصدد دراسة فلسفية ولا بأصحاب تخصّص؛ إنّ خصوصية هذه الدراسة تحتّم علينا تناول الموضوع من زاويته التّاريخية المتعلّقة بفلسفة جونسون اتجاه فكرة الثورة و موقفه من أصحاب الفكر الذين وقفوا في صفّ الاستعمار. وبناءا على هذا حصرنا هذا المبحث في ما تعلّق بوجهة نظر الفيلسوف في أولئك الذين كان عليهم أن يتحرّكوا ضدّ السّياسة الإستعمارية ، والنظر في سُبل فعل شيئ يجسّد الفكر الوجودي .

كانت كتابات **جونسون** متعلّقة بالتّحليل النفسي؛ (الذات الباطنية والشعور والوعي...) وعلاقتها بالتخدير والطب الشرعي محاولا الربط بين الفلسفة والطب.[1] ولم تظل آراء جونسون حبيسة الأدب والفلسفة فأخذ يدلو بدلوه في المواضيع السياسية، وقد اتضّح ذلك جليّا من خلال دوره في الصّراع الذي طفا على السّاحة الفكرية بين **سارتر** و **كامو**؛ ذلك أنّ **كامو** كان أحد أبناء الأقدام السوداء وقد سبق وأن تعرّضنا لموقفه من فكرة الثورة بصفة عامّة والثورة الجزائرية تحديدا، وبرز الصراع بعدما نشر **كامو** دراسته الشهيرة "الإنسان المتمرّد" عام 1951م، والتي انتقد فيها بشدّة القمع الذي مارسته

1-Francis Jonson: « sur la narco-analyse, la médecine, et le for intérieur », les Temps Modernes, aout 1952.

الشيوعية في الحرب العالمية الثانية باسم "الثورة البلشفية[1]"، في حين رفض الثورة الجزائرية واتهمها بالإرهاب ونسي سببها (أنظر الفصل الأوّل)، وتولّى بذلك جونسون الرد عليه من خلال مقالاته في " الأزمنة الحديثة".

2- علاقته بالفكر الشخصاني:

الشخصانية personnalisme تيَّار فلسفي مثالي انتشر في الفلسفتين الأمريكية والفرنسية في بداية القرن العشرين. ويعبّر جوهره عن مذهب أخلاقي واجتماعي مبني على القول: إنّ للشّخص الإنساني قيمة مطلقة، من حيث اتصافه بصفات تمكّنه من المشاركة العقلية والوجدانية في العلاقات الإنسانية، وتهدف إلى تحقيق وجوده كفرد. والشخصانية بهذا المعنى هي دراسة تاريخية واجتماعية للفرد وهو يتطور من شخصية إلى أخرى، مع الأخذ بعين الاعتبار ما يتحلى به الفرد من أصالة في التفكير، وإبداع في التخيل، ودقة في الشعور، وقوة في التعبير، أي جميع الصفات التي تميّز أسلوبه الشّخصي، رأيه وهويته التي تميزه من غيره[2].

لقد حاول جونسون تبيان ضرورة أن تواجه الشّخصانية بصورة مستمرّة كلاّ من الشّيوعية، والحزب الشّيوعي الفرنسي باعتبار أنّ الحركة الشخصانية التزام بالأفعال وليس بالأقوال، وقد استشهد جونسون ببعض ما كتبه "**مونيي** Monier " تدعيما للنتيجة التي توصّل إليها بخصوص الشخصانية حيث يقول:" لاينبغي حصر الحديث عن الشخص وعن الجماعة وعن الإنسان الكلي... بل يجب الحديث أيضا عن نهاية البرجوازية الغربية وقيام البنى الاشتراكية". إنّ نظرة فرانسيس جونسون النّقدية، تجاه الشخصانية جدّ حذرة ففي هذا الفكر شيئ يغريه بطريقة او

---

[1] – ثورة داخلية في روسيا القيصرية، قادها البلاشفة ضدّ الحكم القيصري عام 1917م رفضا لدخول روسيا الحرب العالمية الأولى في فترة شهدت فيها الأحوال الاجتماعية والاقتصادية تدهورا كبيرا في روسيا. وقد انتهت بالقضاء على العائلة الحاكمة وتغيير الحكم إلى شيوعي اشتراكي بزعامة ستالين.

[2] –الموسوعة العربية الإلكترونية.

بأخرى وهذه هي إحدى الأسباب التي دفعته للتعاون مع مجلّة "**اسبري** Hesprit" ولكن مايؤسفه هو أنّ الشخصانية على نقيض الماركسية التي تقدّم نفسها كمسعى عملي وديناميكي من مساعي التغيير، فإنّها ينظر إليها كعقيدة قبل أن تكون موقفا عمليا وبالتالي قد تجد نفسها عاجزة عن التغيير بسبب منطلقها الديني ذاته[1].

3- الثورة من خلال كتابات جونسون:

سنة 1955م أصدر **جونسون** رفقة زوجته **كوليت** Colette Jonson[2] كتابا عنوانه "**الجزائر الخارجة عن القانون** l'Algérie hors la loi" [3]؛ وهو عبارة عن ملف مدعّم بوثائق بيّن فيه عجز الاستعمار عن جعل "**الجزائر فرنسية** l'Algérie Française"[4] متسائلا عن هوية أولئك الملقبين "بالخارجين عن القانون" والذين ماانفكّ الجيش الفرنسي يطاردهم يوما بعد يوم، وعن الغاية التي ثار من أجلها هؤلاء الثوّار فكان بذلك أوّل محاولة تحليلية حول الحركة الوطنية الجزائرية [5]؛ انتقد فيه بشدّة سياسة الاستعمار الفرنسي ودافع فيه عن حقوق وحرية الشعب الجزائري، وهو أوّل كتاب يتطرّق إلى الثورة الجزائرية وأبعادها السياسية، إذ حاول أن يبين فيه مبادئ ثورة نوفمبر 1954م على الرغم من أن الانتقادات التي وجهت إليه فيما بعد، وتجدر الإشارة في تأليف جونسون وزوجته فيقول: "إنّ استمرارية

---

[1] – ماري بياراولوا: المصدر السابق، ص35

[2] – مختصّة في علم النفس وكاتبة أسّست رفقة زوجها فرانسيس جونسون الشبكة وسموها باسم العائلة "شبكة جونسون" تزوجت فرانسيس سنة 1948م بعد زواجهما انتقلا الزوجان إلى الجزائر قصد إنجاز بحث علمي حيث اكتشفت موقف المعمرين وكان نضالها ملازما ومزامنا لزوجها. أنظر رشيد خطّاب: أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص147.

[3] –عاشور شرفي: المرجع السابق، ص121.

[4] – تعود نظرية أو فكرة الجزائر فرنسية إلى مرسوم الإلحاق الذي صدر في جويلية 1834م؛ والذي ألحق الجزائر بفرنسا لتصبح مقاطعة فرنسية.

ويقصد بالفكرة أساسا فرنسة الجزائر سياسيا ودينيا ولغويا، وهي نفسها الفكرة التي رفضتها المقاومة الجزائرية من الاحتلال إلى عهد ديغول، والأطروحة التي تشبّث بها المعمرون واستماتوا دفاعا عنها.

[5] – منّاد طالب: المرجع السابق، ص248.

القمع في الجزائر سيكلّف الوطنيين الفرنسيين الذين سيبقون محلّ صفقات السلطة". وفعلا كان كتاب **جونسون** وزوجته أوّل تعبير ونداء لليسار الفرنسي اتجاه الثورة الجزائرية علماً أنّ الكاتب لم يكن معروفا في الأوساط اليسارية الفرنسية بحركاته السياسة بل اشتهر كفيلسوف غني بفلسفة **سارتر**؛ التي توصف بالوجودية كنزعة إنسانية معاصرة[1].

كما نجد في مقدّمة كتاب "**الجزائر الخارجة عن القانون**"أنّ كلّ من **جونسون** و **كوليت** يبيّنان أنّ نصر الشعب الجزائري أمر حتمي هذا النّصر الذي يجب أن يعيشه المواطنون الفرنسيّون كهزيمة مرّة.

فلقد ساهم **جونسون** و زوجته في فتح أعين القرّاء الفرنسيين على القمع اللّانهائي و الوحشي للاستعمار الذي كان محتوما على الجزائريين،فقد قدّما بشكل مثير للجمهور العريض حقيقة "الجزائر فرنسية" ففي المرحلة الأولى شَرَحَا المراحل الأساسية و المراسيم الإستعمارية،وفي المرحلة الثّانية وصف الحياة السّياسية للجزائر من1947إلى1954 و في المرحلة الثّالثة استعملا الكاتبان كلّ المعطيات المنشورة آنذاك و قاما بتحاليل و انتقادات حول الوضع الاجتماعي و الاقتصادي للجزائر،من خلال وثائق فرنسية رسمية رئيسيّة،و في الأخير قدّم كلّ من **جونسون** و **كوليت** تراجيديا لفيلم "التّمرّد"معنى هذا بداية الثّورة التّحريرية.[2]

يقول المؤرّخان **محمّد حربي و جيلبار مينيي** Gilbert Meynier في كتابهما (جبهة التّحرير الوطني وثائق و تاريخ):"عوض أن نعاتب الجزائريين على وطنيّتهم يجب علينا الكتابة عن **كوليت** و**فرانسيس جونسون** وهذا لما ذكراه من حقائق عن الاستعمار الغاشم في الجزائر و إثبات عجز الاستعمار عن جعل [الجزائر فرنسية].[3]

---

[1] – عبد المجيد عمراني: جون بول سارتر والثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص60.

[2] -Colette et Francis Jeanson, L Algérie hors la loi, Bibliothèque du maghreb,Edition ANEP,2006,p p 6. 7 .13.

[3] -Mohamed Harbi et Gilbert Meynier,Le FLN document et histoire 1954-1962,Casbah edition, Alger, 2004,p 661.

و في عام 1960 نشر **جونسون** كتابا بعنوان (حربنا.notre guerre) كتبه على عجل بعد موجة اعتقالات ألمت بشبكته،يوضّح فيه معنى نشاطه.حيث يردّ بقوّة على عديد نقّاده الفرنسيّين.كما يهدف خاصّة إلى تكثيف و توسيع شعبية أشكال النّضال الجديدة التي يخوضها آلاف الفرنسيين القادمين من مختلف الأوساط الاجتماعية،و الآفاق السّياسية و الايديولوجية المتنوّعة،إسهاما عمليا في استقلال الجزائر.[1]

من المؤكّد،أنّ هدف **فرانسيس جونسون** كان الإسراع في انتصار الشّعب الجزائري،ولم يكن **جونسون** الوحيد الذي يؤمن بحتميته.كما كان هدفه أيضا أن يجعل من النّصر الجزائري نصرا فرنسيا كذلك.نصر لا يكون باردا مقتصرا فقط، على(انسحاب فرنسي)لاعتبارات إستراتيجية و حسابات اقتصادية،إنّما استقلال حار،كنتيجة للنّضالات المتلازمة.استقلال ناضج يرسم معالمه الأوّلية، التّآزر الرّائع بين "**شبكة جونسون**" و"فدرالية جبهة التّحرير الوطني في فرنسا"هذا التّآزر سمح بالفعل للجزائر المحاربة بالاستفادة من استقلال مالي لا شبيه له في تاريخ حركات التّحرير الوطني.[2]

4–موقفه من الفكرة الكولونيالية:

إنّ اهتمام **جونسون** بالجزائر لم يبدأ تاريخياً على كل حال مع الفاتح نوفمبر 1954م فالأمر كان أثناء الحرب العالمية الثّانية، حيث كان **جونسون** جنديا متطوّعا في جيش إفريقيا فاتّصل بالجزائر، وسنة بعد الإنزال البحري الأمريكي 1942م، اكتشف أنّ شريحة واسعة من الأوربيين لازالوا من أنصار "**فيشي** Vichy"[3]، ومساعديه، وقد كانت المقاومة تقلقهم وبذلك كان ينتابه إحساس ثوري قابل أن يعارض الاستغلال الاستعماري[4].

---

[1] _ فرانسيس جونسون: حربنا، تر: الدكتور ميشال سطوف، منشورات ANEP ،الجزائر 2006،ص7.

[2] _فرانسيس جونسون، المصدر نفسه،ص8.

[3] – رئيس الحكومة الفرنسية الموالية للألمان بعد سقوط باريس على يد هتلر في 10 جويلية 1940م.

[4] –هيرفي هامون وباتريك روتمان: المصدر السابق، ص34.

ضحّى **جونسون** بكلّ ما يضمن له السّلامة والأمان ليكرّس نفسه كليا لمساندة الكفاح الجزائري بعد إطلاق سراحه، لم تكن مواقفه نتيجة حتمية أو قدرية لأنّ موقفه الملتزم إزاء القضية الجزائرية لم ينشأ من العدم، فانتقاله من الديغولية المناوئة للنازية ولنظام حكم **"فيشي"**، ثمّ تحوله بعد ذلك إلى مناهض لموقف الديغولية من حرب الجزائر وكذلك مساره من سجون إسبانيا إلى القطيعة مع **سارتر** و**كامو**، ومن العمل السري أثناء حرب الجزائر إلى المساهمة في تأسيس دور الثّقافة التي تمّ تأسيسها في الجزائر كل ذلك ينمّ عن مواقف ملتزمة وإن تعدّدت وجوهها[1]

بعد مجيء **جونسون** إلى الجزائر عام 1948م كتب يقول: "... ذهبت إلى سطيف حيث تكفّل رئيس الدائرة باستقبالي واصطحبني في نزهة عبر المدينة ولما وقفنا أمام كومة من الجير، كانت تتوسّط إحدى الساحات العمومية (وهو المكان الذي رميت فيه جثث الجزائريين وغطيّت بالجير حتّى لا تشتمّ رائحتها الكريهة)، قال لي وهو يمسك بذراعي أنظر هذا هو المكان". كان يتحدّث عن أعمال الشغب التي وقعت في ذلك المكان يوم 08ماي1945.ثم أكمل حديثه بلهجة كبرياء... في ذلك اليوم بالذّات تحوّلت مشاعر الاشمئزاز في أعماقي إلى قناعة تامة بضرورة التمرد نعم ضرورة التمرد و الانتفاضة...و هذا ما حدث بالفعل "[2]

كان متعاطفا مع الجزائر قبل حرب التحرير الوطني بوقت طويل في ديسمبر1949م قبل حرب التحرير الوطني بوقت طويل في ديسمبر 1949م؛ فقد ألقى عدّة محاضرات في الجزائر وكتب بانتظام في جريدة **"الجمهورية الجزائرية"** التابعة للإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري[3]UDMA .

لقد سبق **لجونسون** عام 1950م أن استدعي إلى الجزائر وذلك من أجل إلقاء سلسلة من المحاضرات حول المسرح السارتري، فكانت له فرصة عرف من خلالها البؤس الذي كان يعيش فيه

---

[1] – رشيد خطّاب: أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص ص141-142.

[2] – رشيد خطّاب: نفسه، ص ص 142-143.

[3] – عاشور شرفي: المرجع السابق، ص212.

الجزائريون وكذا الذّل والتّحقير المسلّطة عليهم من طرف المستعمر الفرنسي، وبذلك اكتشف الواقع الذي يفرضه الاستعمار على الشعب الجزائري المغلوب على أمره[1].

وبعد هذا نشر **جونسون** مقالا في مجلة "**اسبري** Esprit"، كصرخة إنذار لما سيحدث لاحقا بسبب هذه السياسة الإستعمارية[2]. ولم يعد جهد **جونسون** بعد ذلك يقتصر على العمل النظري فقط بالكلمة والقلم، بل أصبح يقدّم بعض الخدمات والمساعدات للمناضلين الجزائريين في فرنسا ؛ فساعدهم على التّنقل بسيّارته عبر الحدود الفرنسية الاسبانية وإيوائهم.

كانت تلك خطوات **جونسون** التي سبقت دخوله المعترك الحقيقي، أو السلم الذي ارتقى تدريجيا عبر أدراج حقيقة الاستعمار الفرنسي التي كان يتقدّم بها كل مرّة حينما يقترب من الجزائريين والجزائر ليصل إلى سطح الحقيقة، وجه الاستعمار ويتيقّن من حقيقته ليقدم على خطوات أجرأ.

[1]- منّاد طالب: المرجع السابق، ص248.

[2]-هرفي هامون وباتريك روتمان: المصدر السابق، ص38.

خـــاتمة:

- إنّ محاكمة "**شبكة جونسون** " صفحة بيضاء من سود صحائف فرنسا في الجزائر، ذلك أنّ العقوبات المسلّطة على أعضائها كانت هينة إذا ما قورنت بما تعرّض له الجزائريون، لمجرّد أن يتأخر أحدهم في البوح بما يحمل من أسرار حول الثورة تحت يد جلاّده.

وما قام به **جونسون** كان صورة لما قام به آخرون من المثقفين أمثال "هنري علاق"، و"جون بول سارتر"، وإن اختلف؛ كونه أقدم على خطوة تطبيقية، فكل صوت فرنسي رافض لمواصلة الحرب في الجزائر خدم الثورة، رغم اختلاف المشارب والأهداف. وعن الأهداف التي حرّكت هؤلاء يمكن القول:

من خلال ما سبق يتضح أنّ هناك دافعا أقوى من الدفاع عن حقوق الإنسان كان وراء تحرّك المثقفين الفرنسيون ضدّ الحرب، هو الحفاظ على اسم "فرنسا الحرّة"، ولكن هناك أمر ملفت للانتباه؛ وهو انتماء كل أولئك الذين وقفوا إلى جانب القضية الجزائرية كانوا ينتمون إلى اليسار الشيوعي، وهنا يتجلّى لنا سبب آخر لرفض مواصلة الحرب في الجزائر خاصّة وسياسة اليمين الليبرالي عامّة، هو الخلاف الإيديولوجي بين الطرفين، حقد اليساريين على اليمن جعلهم يقفون في صفّ الثورة عملاً بمبدأ عدو العدو صديق.

ولكن قادة الثورة لم يكونوا في متّسع يسمح لهم بالالتفات إلى البحث في أسباب هذا أو ذاك أو حتّى مجرّد التفكير فيه. لأنّ منطق الساعة يفرض عليهم ضرورة الاستفادة من كلما قد يخدم الثورة بغضّ النظر عن طبيعة الأطراف التي ستقوم بذلك، شرط الحفاظ على استقلالية التوجّهات السياسية للثورة والخصوصية المحليّة لها وهو ما حدث مع الإتحاد السوفييتي الذي وقف موقف المحايد من الثورة التحريرية الجزائرية في انتظار رضوخ الجزائريين وانضوائهم تحت لواء الشيوعية في إطار الحرب الباردة، وإن دلّ ذلك على شيء إنّما يدل على حنكة هؤلاء القادة وإحاطتهم بشؤون التعامل مع الظرف.

وإذا كان منطق الظرفية قد فرض غضّ الطرف بالأمس فإنّه يفرض الكلام اليوم، لأنّ ما يدفع إلى طرح الموضوع حاليا هو خروج فئة من الذين روّجوا لوجه فرنسا المسالم، بغية قطع الطريق أمام أولئك الذين طالبوا فرنسا بالاعتراف بجرائمها مؤخراً وأصرّوا على مطالبة السلطات بذلك. فقد يؤدّي الاعتراف بالجرائم إلى فضح النهب وحجم الثروات التي أخذتها فرنسا من الجزائر، وقد تخرج عليهم أصوات أخرى تطالب باسترجاع الثروات —وهو ما نرجوه– لذلك رأوا قطع الطريق من البداية.

وإنّ هذا الترويج أراد أن يعزف على الأوتار الحسّاسة بداية بتذكير الجزائريين بأولئك الذين وقفوا إلى جانبهم يوما. أي أصبح هؤلاء ورقة رابحة بعدما كانوا أعداء للسلطة الفرنسية بالأمس فسبحان الله، ويا لذكاء من يتقن استخدام ورقة واحدة على وجهين ربح وخسارة.

وإنّنا بكلامنا هذا لا نريد أن نمحق ما قام به أولئك المثقفون، إنّما يكتفي المؤرّخ بعرض الحقيقة كما هي ويترك الحكم للقارئ، على أن يلفت انتباهه إلى بعض الخبايا وتلك هي مهمّة المؤرّخ.

الملحق رقم (01): صورة لفرانسيس جونسون[1]

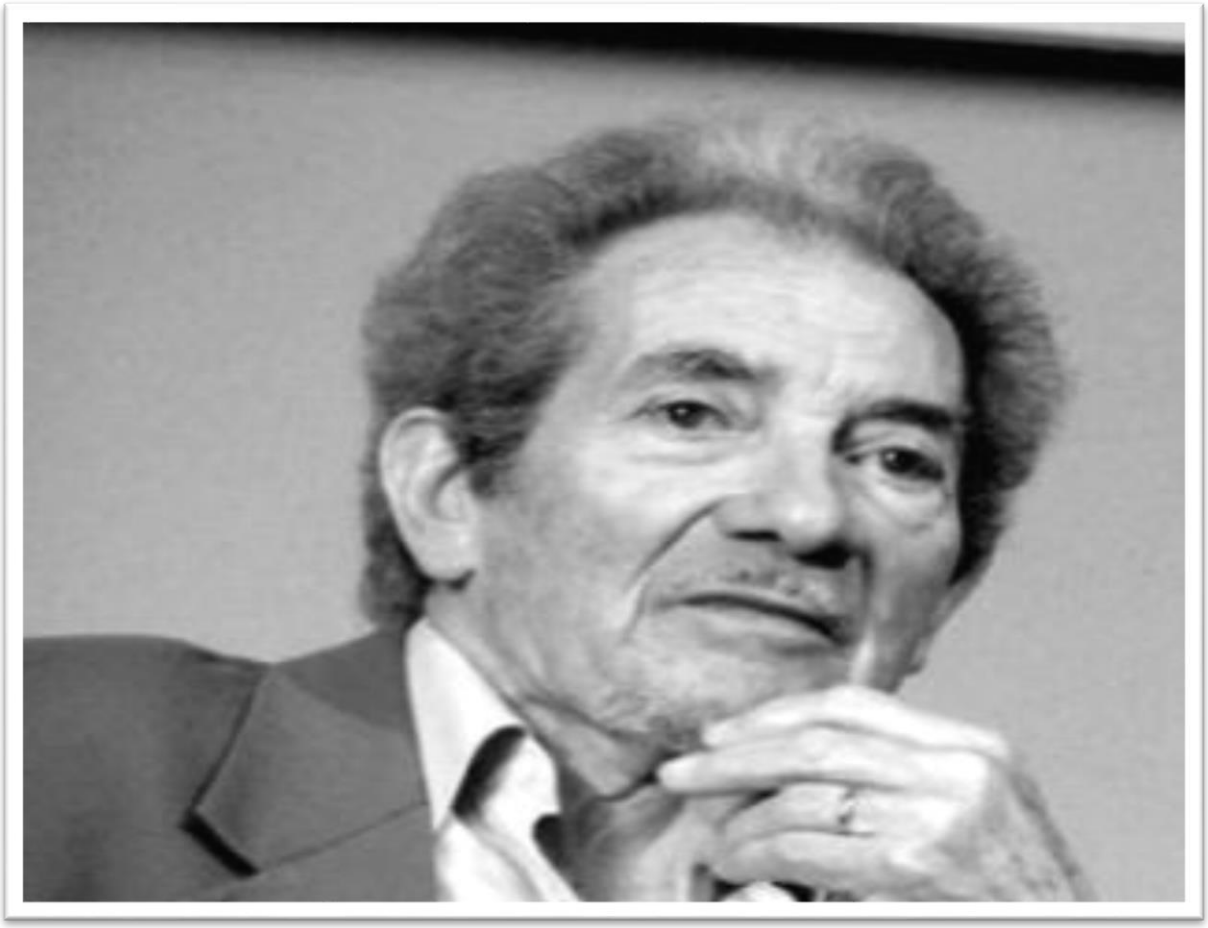

[1]–الأنترنيت

الملحق رقم (02): رسالة جون بول سارتر الى المحامي رولان دوما Roland Dumas

عزيزي الأستاذ:

"إذ أجد نفسي يستحيل عليا الحضور إلى المحكمة العسكرية –الأمر الذي أتأسف له كثيرا– أودّ هنا لأن أشرح بنوع من التفصيل ما أردت قوله في تلغرافي السابق ليس كثيرا أن أكتفي بتأكيدي فقط لـ "تضامني الكامل" مع المتهمين وهذا ما يتطلب مني تفسيرا.

"لا أعتقد أني لم ألتق أبدا **بهيلين كوينات** Hélène Cuénat لكني اعرف عن طريق **فرانسيس جونسون** francis Jeanson، الظروف التي كانت تعمل فيها " شبكة الدّعم " التي هي تحاكم اليوم. كان جونسون منذ مدة طويلة يحسب أحدا من معاونيّ و اذا لم نكن دائما متفقين وهذا أمر طبيعي, فان المشكل الجزائري قد جمع بيننا على أيّة حال.تابعت يوما بيوم مجهوداته المبذولة _التي هي من مجهودات اليسار الفرنسي_ من أجل ايجاد حلّ لهذا المشكل بالطرق المشروعة.و لم يكن الا بعد الاخفاق لهذه المجهودات و أمام ضعف هذا اليسار حتى قرّر جونسون الدخول في العمل السري من اجل تقديم الدعم للشعب الجزائري الذي يكافح من أجل نيل استقلاله.

"لكن يجدر هنا ازالة الغموض.انّ هذا التضامن العملي مع المقاتلين الجزائريين لم يؤسّس لديه انطلاقا من مبادئ و مثل عليا و ون الارادة القوية في محاربة الظلم حيث ما كان فحسب،بل جاء عن تحليل سياسي عميق للوضع داخل فرنسا نفسها.انّ استقلال الجزائر واقع بالفعل فهو آت بعد سنة أو خمس سنوات،باتّفاق مع فرنسا أو رغما عنها, بعد استفتاء او بتدوين القضية، لست أدري. فقد أصبح استقلال الجزائر أمرا واقعا و الجنرال ديغول الذي اعتلى الحكم بفضل أبطال الجزائر فرنسيّة يرى نفسه اليوم مرغما على الاعتراف بالقول: "أيها الجزائريون ، ان الجزائر لكم ". أكرّر اذا ان استقلال الجزائر حاصل لا محال . و الذي ليس حاصلا هو مستقبل الديمقراطية في فرنسا لأنّ حرب الجزائر عفّنت هذا البلد . انّ التّقييد من الحريات و انعدام الحياة السياسية و

تعميم و انتشار التعذيب و العصيان الدائم للسلطة العسكرية ضد السلطة المدنية، ان كل ذلك يؤشر على تطّور يمكننا أن نصفه دون مبالغة بالفاشيّة . وأمام هذا التطور نجد اليسار ضعيفا عاجزا و سيبقى كذلك ان لم يقبل باستجماع قواه ليضيفها الى القوة الوحيدة التي تكافح اليوم حقيقة ضد العدو المشترك للحريات الجزائرية و الحريات الفرنسية و هذه القوة هي جبهة التحرير الوطني.

"يصعب عليّ طبعا عزيزي الأستاذ و هذه المسافة التي تبعد بيني و بينكم ، أن أتصور طبيعة الأسئلة التي بامكان المحكمة العسكرية أن تطرحها عليّ . ومع ذلك فأنا أفترض أن يكون موضوع أحد الأسئلة هو الحوار الذي خصّصته **لفرانسيس جونسون** في نشريته pour vérités وسأرد على هدا السؤال دون مواربة. لم اعد اتذكر تاريخ هذا الحوار بالضبط ولا أطراف حديثه بالتحديد لكن ستجدون كلّ ذلك بسهولة ان كان نصّ الحوار مدرجا في الملف. الذي أعرفه بالمقابل هو أنّ **جونسون** أتى اليّ بصفته منشطا في "شبكة الدعم " و مديرا لهذه النشرية السرية التي كانت لسان حالها و الذي استقبلته عن دراية و تبصّر .كان لي بعدها لقاء معه على ما أعتقد مرتين أو ثلاث. لم يخفي عليّ ما كان يقوم به و أيّدته في ذلك كلية . لا أعتقد أنه يوجد في هذا المجال مهام نبيلة و أخرى مبتذلة و نشاطات خاصة بالمثقفين و أخرى غير جديرة بهم ، لم يكن الأساتذة في جامعة السّوربون Sorbon خلال فترة المقاومة يترددون في بعث المطويّات و المناشير و ربط الاتصالات . لو أن جونسون طلب مني حمل حقائب أو ايواء مناضلين جزائريين و أمكن لي القيام بذلك دون أن أعرّضهم للخطر لفعلته دون تردد.

"أرى أنّه من الواجب أن يكشف عن حقيقة هذه الأمور لأنّ اللحظة التي يجب على كل واحد أن يتحمل فيها مسؤولياته بدأت تقترب. انّا نرى هؤلاء أنفسهم الذّين هم أكثر ارتباطا و التزاما بالعمل السياسيّ يزالون يترددون احتراما لما يسمّونه بالشرعية الشكلية– في تجاوز بعض الحدود. انهم الشباب المساندون من قبل المثقفين الذّين بدؤوا مثلما هو جار في كوريا و تركيا و اليابان في

كسر و فضح هذه الخدع التي رحنا ضحيتها ، و هذا ما يعطي أهمية استثنائية لهذه المحاكمة. للمرة الأولى وعلى الرغم من كل العوائق و على الأحكام المسبقة و كل الاحتراسات يجلس جزائريون و فرنسيون أخويا جنبا الى جنب في قفص الاتهام حيث تجمعهم معركة واحدة مشتركة. لا يجدي نفعا محاولة التفرقة بينهم ، و لا يجدي نفعا أيضا محاولة تقديم الفرنسيين على انهم مغرور بهم و فاقدو الأمل ورومانسيون. بدأنا نسأم من هذا الحلم و التسامح الكاذبين و من هذه الشّروحات السّيكولوجية. يجدر القول بوضوح أن هؤلاء الرجال و النساء ليسوا وحدهم و أنّ المئات الآخرين هم الآن يستلمون المشعل و أنّ الآلاف هم مستعدون القيام به. انّه القدر المعكوس الذّي فرّق بيننا مؤقتا غير أنّني أتجرأ لأقول أني أراهم في هذا القفص مفوّضين ونوابا عنا ، أن الذين يمثلونه في الحقيقة هو مستقبل فرنسا و السلطة الزائلة هذه التي تتأهّب لمحاكمتهم اليوم لم تعد في الحقيقة تمثل شيئا"[2].

16 سبتمبر 1960م

جون بول سارتر

الملحق رقم (03): قرار حكم المحكمة على المتهمين في شبكة جانسون "حملة الحقائب

[2]–رشيد خطّاب أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص ص 535-539.

بعد ساعتين من المشاورات تعلن المحكمة على الساعة 23سا15 د عن حكمها بما يلي:

البراءة لـ: **جاك تريبوتا** Jacques Trébouta ،**بول كروشي** Paul Crauchet،**أندري توران** André Thorent، **جورج بيرجي**Georges Berger ،**ايفون ريسبال** Yvonne Rispal ، **دونيز بارا** Denise Barrat، **لونيس ابراهمي**.

المدانون :

أقصى عقوبة؛ أي عشر(10) سنوات سجنا نافذة، 70.000 فرنك فرنسي غرامة،خمس(05) سنوات منعا من الاقامة و حرمان من الحقوق المدنية في حق :**حدّاد حمادة ،ولد يونس، حنّون سعيد، عليان حاميمي، دكسي علاّوة، هيلين كوينا** Hélène ، **فرانس بينار** France Binard، **جون كلود بوبير**Paupert Jean-Claude، **جيرار ميي**Gérard Meier، **ميشلين بوتو**Micheline Pouteau.

خمس (05) سنوات سجنا نافذة ، 500 فرنك فرنسي غرامة،خمس(05) سنوات منعا من الاقامة و حرمان من الحقوق المدنية في حقّ : **جاكلين كاري** Jacqueline Carré**.**

ثلاث(03) سنوات سجنا نافذة، 10.000 غرامة و حرمان من الحقوق المدنية في حق **جاك ريسبال** Jacques Rispal.

ثمانية(08) أشهر سجنا نافذة ،500 فرنك فرنسي غرامة و حرمان من الحقوق المدنية في حقّ **جانين كاهين** Janine Cahen.

كما حكمت المحكمة غيابيا على **فرانسيس جونسون** francis Jeanson، **و دانيال صابري** Danielle Sabret، **و سيسيل روغانيون** Cécil Regagnon،**و جاك فين**Jacques Vignes. **بأقصى العقوبة**[3].

[3]- رشيد خطّاب أصدقاء الخاوة، مرجع سابق، ص ص 540-541.

الفصل الأوّل: موقف النخبة الفرنسية المثقّفة من الثورة الجزائرية

المبحث الأوّل: اندلا ع الثورة والنخبة الفرنسية المثقّفة

1- الصحافة.

2- رجال الفكر.

المبحث الثاني: موقف النخبة النخبة الفرنسية المثقّفة من التعذيب في الجزائر

1- أساليب التعذيب في الجزائر.

2- موقف المثقفين الفرنسيين من أساليب التعذيب.

ولدت الثورة الجزائرية في حجر ظروف محلية؛ تمثّلت خاصّة في ذلك الانشقاق الذي انفجر في بيت حركة الانتصار للحريّات الديمقراطية MTLD أخيرا، بعد طول صراع يعود إلى تاريخ تأسيس الحزب، ناهيك عن تجديد نشاط الحركة الوطنية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبروز عدّة أحزاب، ويأس الشعب الجزائري من زعماء النضال. في حين كانت حكومة **منديس فرانس** Mendes France[1] تغرق في مشاكل داخلية في باريس يمكن تلخيصها في الصراع بين اليسار واليمين.

وتحولات عالمية كبرى، أبرز ما ميّزها هو ذلك الصراع الذي ترسّب عن الحرب العالمية الثانية وطفا على سطح العلاقة بين الشرق الشيوعي الاشتراكي، والغرب الإمبريالي الرأسمالي؛ ما وسم تاريخيا بـ: "**الحرب الباردة** 1945م –1989م"[2]. ولذلك جاءت ردود الفعل من الثورة مختلفة بحجم هذا الاختلاف.

ولأنّ الفكر الشيوعي يقوم أساسا على تحقيق العدالة الاجتماعية، فإنّ الإمبريالية كانت في مقدّمة ما ندّد به الشيوعيون، في وقت كانت الشيوعية قد مدّت ألسنتها نحو أرويا الغربية وظهرت أحزاب اشتراكية تناهض الرأسمالية في عقر دارها، وانتشر الفكر الرافض للاستعمار بين الطبقة المثقّفة حتى هؤلاء المنتمين إلى دول إمبريالية. ولذلك برزت مجموعة من الصحافيين والمحامين، والأساتذة والأطباء الفرنسيين الذين وقفوا ضدّ الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

---

[1] – **بيير منديس فرانس**: (جانفي 1907 باريس – 18 أكتوبر 1982) رئيس حكومة فرنسا من 17 جوان 1954 إلى 05 فيفري 1955م.

[2] – **الحرب الباردة**: الصراع الذي طفى على سطح العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، وكان سببه الأساسي الاختلاف الإيديولوجي بين الاتحاد السوفييتي الشيوعي الاشتراكي، والولايات المتحدة الرأسمالية الإمبريالية، وقد سميت حربا باردة لاستخدامها كل الوسائل الاقتصادية والسياسية، والإعلامية ماعدا المواجهة المباشرة بالأسلحة.

المبحث الأوّل: اندلا ع الثورة والنخبة الفرنسية المثقّفة

1-الصحافة:

للحديث عن ما جاء في الصحافة الفرنسية غداة الفاتح نوفمبر، علينا أن لا ننسى أنّ كل الشرائح الفرنسية السياسية والاجتماعية كانت تفكّر بمنطق الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا. لذلك جاءت ردود الفعل من هذا المنطلق؛ وعليه تكون أحداث الفاتح نوفمبر تمرّد على السلطة والدولة الأم ومحاولة انفصالية وهو ما نشرت على أساسه الجرائد اليمينية خبر الأحداث، في حين سارت الجرائد اليسارية على نهج رجال الكنيسة وصوّرت أنّ هذه نتائج حتمية لشعب حرم من أبسط حقوق الإنسان. وبذاك تظهر الثورة التحريرية بوجه الجوع والحرمان لا التحرّر وتقرير المصير.

وفيما يلي نستعرض ثوابت لهذا الكلام، مقتطفات من بعض الجرائد اليمينية واليسارية الصادرة في الجزائر أو في باريس وللقارئ حق الحكم على ما قلناه مقارنة بما قالوا:

كتبت le journal d'alger في الخامس نوفمبر 1954م -وقد كانت أكبر جريدة للأقدام السوداء- : "إنّ الجزائر قد حرّكت أمس ولم تزلزل، وليست الجماهير هي التي ثارت... إنّه الإرهاب"[1].

وقالت la dépêche quotidenne في الثاني نوفمبر 1954م :" أنّ الجزائر كانت أكثر الأقطار هدوءا، وأنّ دقة تنظيم الحدث تدعوا إلى القلق لانّ ذلك يدلّ على وجود منظمة تقف وراء الحدث"[2].

[1] - مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غزّة نوفمبر، دار الأمّة، الجزائر، 2007م، ص98.

[2] - مولود قاسم نايت بلقاسم: نفسه، ص99.

ومن الجرائد اليسارية كتبت **"العامل الجزائري"** لسان حال النقابة الشيوعية؛ افتتاحية عنونتها بـ: "نريد العمل والخبز" وضمنّتها قولا صريحا بأنّ هذا الشعب يريد الخبز والعمل لا الرشاشات".

وذكرت Alger républicain أنّ لا حل لمثل ر هذه الاعتداءات "إلاّ الديمقراطية السياسة النعامة، ولا سياسة البندقية تفيدان، والسياسة الوحيدة التي ستفيد هي الحل الديمقراطي".[1]

وبدون إطناب يمكن القول أنّ الصحف اليمينية الكولونيالية كانت خائفة على مصالح الكولون في الجزائر وتدعوا علنا إلى وأد الثورة في المهد، في حين كان اليساريون أكثر استغباءا في تفسير الحدث وأساءوا للثورة عندما نسبوها إلى الجوع وغضّوا الطرف عن التحرر.

2-رجال الفكر:

قد تكون لفظة فكر مصطلح فضفاض يوسّع دائرة المقصودين هنا لذا لابأس أن نضيّق إطار الدراسة بإشارة إلى الفلاسفة خاصّة. على اعتبار أنها الفئة المعنية بالدراسة في فصلنا الأوّل ثمّ أخذ أنموذج منها في الفصلين المتبقين.

-والبداية ستكون مع **"ألبير كامو"** (Albert Camus1913-1960)[2]؛ ولد في العاصمة وكان يساريا من نوع خاص؛ على اعتبار أنّه مثّل النزعة الأوربية وتضامن مع المجتمع الرأسمالي، وفي نفس الوقت كان يكنّ كرها شديدا للألمان ، بحيث يظهر ذلك جليا في كتابه الصادر عام 1952

[1] - مولود قاسم نايت بلقاسم: المصدر السابق؛ ص ص100-101.

[2] - ألبير كامو (1960 - 1913):فيلسوف وجودي وكاتب مسرحي وروائي فرنسي مشهور ولد بقرية موندوفي من قسنطينة بالجزائر، من أب فرنسي، وأم أسبانية، وتعلم بجامعة الجزائر، وانخرط في المقاومة الفرنسية أثناء الاحتلال الألماني.

"المتمرّد"[1]؛ الذي انتقد فيه الأفكار الشيوعية بشدّة وهاجم فيه الأفكار الثورية وهي النقطة التي أثارت الخلاف بينه وبين **جونسون** والقطيعة مع **سارتر**[2] .

كما تعتبر الكاتبة "**حمودة وهيبة**" "**ألبير كامو**" مثقّف محافظ له ممارسات أدبيّة و فلسفيّة إذ يعيش انفصالا بين ما يقدّمه كسياسي ويكتبه كفيلسوف كاتب[3].

وقبل أن نخوض في موقف **كامو** من الثورة الجزائرية، علينا أن نعرّج على آرائه التي سبقت الثورة؛ فقد كان يوجّه انتقادات مستمرّة لإهمال السلطات الفرنسية للسكّان الأصلين في الجزائر، وفي نفس الوقت علينا أن لا ننسى أن **كامو** كان من أبناء المعمرين ومصالحه مرتبطة بالنظرية الكولونيالية **"الجزائر فرنسية"**، ولذا نجد أنّ أراءاه تغيّرت اتجاه الثورة خاصّة بعد هجومات الشمال القسنطيني 20 **أوت** 1955م[4]. التي كشفت عن الضغينة الدفينة لدى الجزائريين ضدّ المستوطنين بسبب السياسة الكولونيالية التعسفية.

وهاهو ذا **كامو** يندّد بأعمال **ج ت و** FLN ؛ التي صنّفها ضمن الأعمال الإرهابية في حين أنّها الطريقة الوحيدة لمجابهة الاستعمار ويرى أنّ الحل الوحيد لمشكلة الجزائر هو إقامة فدرالية جزائرية، ذلك لأنّه ينكر وجود أمّة جزائرية. يرى أنها امتزاج لشعوب مختلفة حتّى ينطبق ذلك على الأقدام السود ويصبحوا من السكّان الأصليين؛ ولا يهمّه إن كانت فكرة الجزائر فرنسية ستكلّف تقتيل الجزائريين

---

[1] –عبد المجيد عمراني: جون بول سارتر والثورة الجزائرية؛ مكتبة مدبولي؛ الجزائر؛ ص53.

[2] – ماري بياراولوا: فرانسيس جونسون الفيلسوف المناضل من مقاومة الاحتلال النازي لفرنسا إلى مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ تر؛ مسعود حاج مسعود دار القصبة للنشر؛ الجزائر؛ 2009؛ ص68.

[3] -Hamouda Ouahiba ,Albert Camus a l épreuve d Alger Republicain , office des publications universitaires,2002,p 194

[4] – عبد المجيد عمراني: جون بول سارتر والثورة الجزائرية، مكتبة مدبولي، ص55.

وتعذيبهم[1]. وهنا تتجلّى المفارقة في موقف هذا الرجل من العنف الثوري التحرري والجريمة الاستعمارية الكولونيالية!!.

ويرى المؤرّخ الجزائري **عبد المجيد عمراني** أنّ قناعات **كامو** ليست نابعة من خوفه على مصالح فرنسا والمعمرين، إنّما هي عقدة شخصية تتمثّل في رغبته في بقاء عائلته في الجزائر، ولكن الثورة كانت هزّة عنيفة أخلطت أوراقه والمستوطنين عموما، وقد كان **كامو** بنزعته هذه يعتقد أنّ الجزائر ستعود كما كانت.[2] ولكن هيهات وهو ما أثبته التاريخ لاحقا.

ومن وجهة نظرنا أنّ يأس **كامو** من عودة الوضع على ما كان عليه ورفضه للفكرة أثار ثائرته، وجعله يبدي رأيا يتنافى مع منطق العدالة ويكشف نزعته الكولونيالية.

وهي نفسها تقريبا النقطة التي أثارت خلافا بينه بينه وبين **سارتر**[3]؛ الذي كان من أبرز الوجوه الفكرية في فرنسا آنذاك وعرف بفلسفته الوجودية وتمسكه بمبدأ الحرية[4]، وهنا يبدأ موقفه المناهض للاستعمار والرافض لمصادرة حرية الشعوب[5]. وكثيرا ما أسهم في نصرة الشعب الجزائري بقلمه في عديد الصحف والمجلات؛ في مقدمتها "**مجلة الأزمنة الحديثة** Les temps Modernes" الامر الذي جلب عليه الانتقاد الشديد بل والعدوان اليميني.[6]

---

[1] – عبد المجيد عمراني: جون بول سارتر...، نفسه؛ ص ص57-57.

[2] –عبد المجيد عمراني: جون بول سارتر...، المرجع السابق، ص66.

[3] –ماري بياراولوا: المصدر السابق؛ ص ص75-76.

[4] – الشيخ كامل محمد محمّد عويضة: جان بول سارتر فيلسوف الحرية؛ دار الكتب العلمية؛ط1؛ بيروت لبنان؛1993؛ ص19.

[5] – جان بول سارتر: أصوات مناهضة للإستعمار؛ تر: محمّد معراجي؛ منشورات ANEP؛ 2007؛ ص3.

[6] – أحمد منغور: موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية؛ رسالة لنيل شهادة المجستير في تاريخ الحركة الوطنية؛ جامعة منتوي –قسنطينة؛ 2005-2006؛ ص166.

وقد كانت هذه الطبقة –المثقفة– صانعة فكر وميول الطبقة العامّة دوما ؛ ولذلك نجد أنّ موقف سارتر كان له دور كبير في التأثير حتى على طبقة المثقفين اليساريين لتأييد ج.ت.و ورفض نظرية الاستعمار القائمة على التميز بين المستوطن والأهلي حيث يقول: "ونحن فرنسي الميتروبول ليس لنا إلاّ درس واحد نتعلّمه؛ أنّ الاستعمار يعمل على تهديم نفسه ولكنه مازال ينتّن الجو إنّه عارنا، وهو يهزأ بقوانيننا ويظهرها بمظهر كاريكاتوري. إنّه ينشر بيننا وباء العنصرية ويفرض على شبابنا أن يموتوا رغما عنهم...، وإنّ مهمتنا هي أن نساعده على الموت ليس في الجزائر وحدها...، ولا شكّ أن الذين يتحدثون عن ترك الجزائر هم بلهاء فليس لنا أن نترك مالم نمتلكه يوما، بل القضية على العكس هي أن نبني مع الجزائريين علاقات جيّدة بين فرنسا الحرّة والجزائر المحرّرة".[1]

وفي دفاعه عن الثورة الجزائرية أكّد "**جون بول سارتر**[2] **Jon Paul Sartre**" وقال بأنّ من التزييف أن نصف جبهة التحرير "بالجبهة الإرهابية" **لأنّ** استخدامها للأسلوب الثوري يعود أساسا إلى سياسية الاستعمار الإرهابية اتجاه الجزائريين وعلى هذا الأساس استنتج سارتر أن الاستعمار الفرنسي جعل الإنسان الجزائري يؤمن بالعنف والقوّة كسلاح أساسي لاسترجاع كرامته وحريته[3]

---

[1] – جون بول سارتر: عارنا في الجزائر، تر: عايدة وسهيل إدريس؛ دار الآداب؛ بيروت؛ 1958م؛ ص ص32-33.

[2] – **جان پول سارتر** Jean-Paul Sartre فيلسوف وأديب فرنسي، وُلد في 21 حزيران 1905 في باريس، وعاش في طفولته حياة باذخة. بعد مولده بعام واحد فَقَد والده الذي توفي في الهند الصينية، فتزوجت أمه مرة أخرى من مهندس في البحرية، وانتقل للعيش معهما في مدينة لاروشيل، وفيها خَبِرَ حياة البورجوازية التي انتقدها لاحقًا. ثم عاد إلى باريس، وحصل فيه على شهادة البكالوريا، وتخرج في العام 1925 من دار المعلمين العليا École Normale Supérieure، عُيِّن أستاذًا للفلسفة في الثانوية في العام 1931م، عرف بفلسفته الوجودية ومناهضته للاستعمار.

[3] –عبد المجيد عمراني: جون بول سارتر...، المرجع السابق، ص49.

وقد ذهب **سارتر** إلى أبعد من الدعم المعنوي؛ فكان يقول أن الالتزام إلى الثورة الجزائرية لا يكفي أن يكون نظريا فقط[1]. وهو يقصد هنا الانتقال إلى النشاط مع جونسون وهو ما سنفصل في ذكره في الفصول اللاحقة.

وقد كان سارتر يستقي قناعاته من آراء صديقه "**فرانز فانون Frans Fanon**[2]"؛ ذلك الجندي في ساحات تحرير فرنسا من الاحتلال النازي الذي التحق فيما بعد بجامعة ليون وحصل فيها على شهادة الطب النفسي و اهتم في نفس الوقت بالآداب والفلسفة، نشر العديد من الكتب التي تعالج واقع الاستعمار في إفريقيا خاصّة منها "**بشرة سوداء وأقنعة بيضاء**"، و المقالات المندّدة بالاستغلال وانتهاك الاستعمار لحقوق الإنسان في مجلّة "**إسبري** Esprit" [3].

نشط **فانون** سياسيا في البليدة وبدأ يفكّر جديا في معاناة الجزائريين، بعد أن اكتشف حجم الأضرار النفسية التي يخلفها الاستعمار، وقد كانت له طريقة خاصّة في علاج مرضاه فبات بذلك شخصية مشهورة. ونظرا لقرب مركز عمله من تواجد ثوّار الولاية الرابعة ربط اتصالا سريعا بهم ابتداء من سنة 1955**م** وأصبح يعالجهم سرّا في المستشفى أو يتنقل لعلاجهم.[4]

---

[1] –منّاد طالب: الفكر السياسي عند سارتر والثورة الجزائرية؛ دار خطاب؛ الجزائر؛ 2006؛ ص250.

[2] - **فرانز فانون**:(20يوليو 6 - 1925 ديسمبر1961 م) طبيب نفسانيّ وفيلسوف اجتماعي أسود، من مواليد فور دو فرانس – جزر المارتنيك، عرف بنضاله من أجل الحرية وضد التمييز والعنصرية.

[3] – رشيد خطّاب: الخاوة والرفاق قاموس بيبوغرافي للجزائريين ذوي الأصل الأوربي واليهودي والحرب التحريرية الجزائرية (1954-1962)، تر: محمد رضا بوخالفة ونسرين لولي؛ دار خطاب؛ ص ص213-214.

[4] – رشيد خطاب: الخاوة والرفاق، مرجع سابق، ص215.

في ربيع 1957**م** وتزامنا مع تلقيه لقرار طرده من الجزائر كان **فانون** قد استقال من منصبه وأرسل رسالة للوزير المقيم "**روبير لاكوست** Robert Lacoste" يندّد فيها بجرائم الاستعمار. وارتحل إلى تونس بمساعدة فدرالية جـ. ت. و ليواصل نشاطه في جريدة "المجاهد".[1]

وخلال مشاركته للجزائريين في نضالهم بتونس والكتابة في جريدة "**المجاهد**" اكتشف **فانون** مدى انفتاح جيش التحرير على حركات التحرّر في إفريقيا السوداء، فأدرك أنّ الخيال دخل حيّز الواقع خاصّة بعدما عهدت إليه الثورة بمهام معيّنة خارج القارّة، فكان له أوّل اتصال مع إفريقيا السوداء عبر الجزائر عندما عيّن ضمن الوفد الجزائري في المؤتمر الإفريقي المنعقد بعاصمة **غانا** في نهاية **1958**م .[2]

إنّ كلّ ما رأى **فرانز فانون** في الجزائر جعله يدرك أنّ العدو مشترك، وأن الجزائريين وان لم يكونوا زنوجا فهم يتعرّضون لظلم "الرجل الأبيض" الذي بات عدوا مشتركا في نظره، وبناءا على هذا يرى الدكتور **عبد الحميد خيفري** أنّ فانون لم يفهم حرب الجزائر إلاّ من خلال الثورة الاجتماعية التي كان يؤمن بها كرجل أسود. وهو نفسه الموقف الذي جعله يتآخى مع الجزائر رين في عدواة الرجل الأبيض.[3]

في عام 1959**م** أصدر كتابه "**الثورة الجزائرية في عامها الخامس**"؛ وقد وجّهه خاصّة إلي الديمقراطيين الفرنسيين ليوضّح لهم أنّ الثورة وصلت إلى مرحلة اللاتراجع، كما تناول فيه مجموعة من العوامل التي جدّت على الثورة وتأثيرها عليها كدخول الراديو إلى المنازل.[4]

---

[1] – رشيد خطّاب: الخاوة والرفاق،نفسه؛ ص215.

[2] – محمّد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية؛ الطباعة الشعبية للجيش؛ الجزائر؛ 2007؛ ص ص24-26.

[3] –عبد الحميد حيفري: فرانز فانون بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته؛ الطباعة الشعبية للجيش؛ الجزائر؛ 2007؛ ص16-21.

[4] – رشيد خطّاب:الخاوة والرفاق، مرجع سابق، ص218.

أصيب فرانز فانون بسرطان في الدم فانتقل إلى الولايات المتحدة لتلقي العلاج، حيث أملى كتابه **"المعذّبون في الأرض"** الذي تحدّث فيه بلسان شعوب العالم الثالث، وهو يصارع المرض. وقد أوصى أن يدفن وسط إخوانه الجزائريين وتمّ ذلك فعلا فقد دفن في تونس مع الجزائريين بعد وفاته بالولايات المتحدة في السادس ديسمبر 1961م.

إنّ اختيارنا لهؤلاء الثلاثة من دون المثقفين الفرنسيين لم يكن اعتباطيا إنّما لوجود علاقة بينهم وبين الفيلسوف المعني بالدراسة في بحثنا **"فرانسيس جونسون"**. ولنوضّح أكثر فإنّ العلاقة التي نقصد هنا هي الارتباط الفكري بناءا على علاقة التأثر والتأثير بغضّ النظر عن طبيعتها إنما كانت اتفاق أو اختلاف؛ فليس هناك باحث أو مؤرّخ يتناول حياة جونسون وفكره ولا يضطر إلى التطرّق إلى سارتر صديق جونسون، و**كامو** الذي يختلف معهما جدا في الرأي. وفي نفس الوقت لا يمكن التحدث عن سارتر دون الإشارة إلى مدى تأثّره **بفرانز فانون** .

وبناءا على ما استعرضنا من مواقف هؤلاء اتجاه الثورة الجزائرية؛ يتّضح أن هذه المواقف كانت نابعة أساسا من قناعاتهم الفكرية واتجاهاتهم الفلسفية ؛ التي يعود مرجعها إلى مشارب تكوينهم التعليمي والفكري، سواء من ظروف اجتماعية كنزعة **كامو** الكولونيالية نظرا لأنه ينحدر من أبناء المعمرين، وتأثر **سارتر** و**جونسون** بالفكر الشيوعي، أو نزعة انتمائي كانتماء **فانون** لبني الجلدة السوداء. لذا فانّ هذه المواقف ولم تكن رغبة في دعم القضية الجزائرية لذاتها بل لإيمانهم بحق الإنسان في الحرية بالنسبة للمواقف الداعمة، وخوفا على مصلحة شخصية بالنسبة **لكامو** لا على مصالح فرنسا في الجزائر.

المبحث الثاني: موقف النخبة الفرنسية المثقّفة من التعذيب في الجزائر:

لم يمض أكثر من نصف قرن على ثوران الفرنسيين ضدّ الظلم والاستبداد، ومن ثمة إعلانهم لحقوق الإنسان حتّى مدّت إمبراطورية الحرية ذيل سوطها إلى عمق إفريقيا لتسلطه على الشعوب المغلوبة على أمرها، عملا بالنظرية المكيافيلية غايتنا تبرّر وسائلنا!.

فكان من هذه الوسائل التعذيب؛ ذلك الذي طبع سجّل فرنسا في الجزائر بالأسود وكان حافلا بالجريمة أكثر من سجلّ محاكم التفتيش في الأندلس،استثار الإعلام العالمي والرأي العام، ومنظمات حقوق الإنسان وكل الأطراف التي لها من الإنسانية جانب وفي مقدّمة هؤلاء المثقفون الفرنسيون.

وقد غلّظت السلطات الفرنسية عصا التعذيب مع اندلا ع الثورة التحريرية، وصعّدت وتيرته كلّما زاد نجاح الثورة وذاع صيتها وتحديدا مع معركة الجزائر1957م؛ التي نقلت الثورة من الريف إلى المدينة. فنوّعت أساليب التعذيب وعدّدت في أساليب تعالت فيه الأصوات ضدّ الحكومة الفرنسية وتوسّع صف الثورة بدعم فرنسي.

1- أساليب التعذيب في الجزائر:

إنّ الدارس للموضوع يجد أنّ التعذيب في الجزائر كان تحت جناح السلطة وبدعم وتستر منها، اذاما عدنا إلى كتابات صنّاع الحدث أمثال السفّاح **"بول أوساريس"** الذي ذكر في كتابه **"شهاداتي حول التعذيب في الجزائر"**؛ أنّ **"ماكس لوجون** Max Logon" مستشار الحربية لدى حكومة "غي موليه"، والقاضي **"جان بيرار** Jon Berar "، ووزير العدالة **"فرونسوا ميتران**Francois Mitral ". كانوا يتسترون على جرائم **بيجار** Bajer وضباطه الذين كان المتحدّث واحد منهم[1].

[1]- بول أوساريس: شهاداتي حول التعذيب المصالح الخاصّة في الجزائر 1957-1959م، تر، فرحات مصطفى، دار المعرفة، الجزائر، 2008، ص ص113-118.

وقد اعترف الضابط "**بيار أليولات** Pier Aliolett" صراحة في ما جمع من وثائق خلال عمله بالجزائر (1954-1957م)؛ أنّ التعذيب أصبح من الطرق الرسمية التي تستعمل للحصول على المعلومات قصد التقليل من العمليات الفدائية وضبط الحركة النضالية، بل انّ فرنسا أنشأت مؤسّسات خاصّة بالتعذيب.[1]

وقد لخّص المؤرّخ محمد **لمين بلغيث** هذه الأساليب فيمايلي:

الكي بالنار (نار التلحيم) كما فعل جلادو "**عيسات إيدير**"، والتعذيب بالكهرباء على أنغام الموسيقى، وغطس رأس المعذّب في الماء الممزوج بالصابون، وغطس المعذّب في الماء البارد ثمّ الدافئ مما يسبّب ألما قاسيا، تحريض الكلاب البوليسية على المعتقلين لنهش جلودهم، ودقّ المسامير في أجساد المعذّبين. وقد تذهب الوحشية بالجنود الفرنسيين إلى أكثر من ذلك فيسلخوا جلد المعتقل ثمّ يضعوا الملح والبهارات في الجروح، وخلع الأظافر والأسنان وبتر الآذان والأعضاء التناسلية، أو إجلاس المعذّب على الزجاجات أو إدخال فأس في دبره، الجر على مسامير مما يؤدّي إلى تمزيق جسم المفعول به، طلي الأجسام بالغاز الحار، واغتصاب الفتيات الصغيرات والتعدي على أعراض المسلمين، ربط المسجون إلى سيارتين إلى اتجاهين مختلفين فيتمزق جسد المسجون، وقد يسترسل ضباط الجيش الفرنسي في وحشيتهم فيجعلوا المسجون يحفر قبره بيده ثمّ يدفن فيه مكبّلا بالسلاسل، أو يكنس الطرق والشوارع بلسانه، أو شبه فوق النيران المشتعلة، وكذا التعذيب عن طريق الإبادة بإلقاء عدد كبير من المعتقلين في حفرة وردمهم أو إغراقهم في المياه حتى تتعفّن الجثث.[2]

لا أعتقد أنّه بعد استجلاء هذه الثوابت التاريخية، يتوجّب علينا التعليق، ولا المقارنة فلا جلاّدو الإمبراطورية الرومانية، ولا محاكم التفتيش في الأندلس تجاوزت هذه الوحشية، وقد أخطا المؤرخون

---

[1] – عبد المجيد عمراني: جون بول سارتر..، مرجع سابق، ص102.

[2] –محمّد لمين بلغيث: موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب في الجزائر(مجلة المصادر)، مجلة تصدر عن المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر 1954، العدد الخامس، الجزائر، 2002، لا توجد صفحة نسخة الكترونية.

حينما جعلوها محكا ومعيارا للقسوة التعذيب؛ لأنّهم بذلك يكونوا قد غضّوا الطرف عن الأجدر بأن يكون معيارا للجريمة الإنسانية والنزول إلى درك ما تحت الوحشية الحيوانية.

2- موقف المثقفين الفرنسيين من أساليب التعذيب:

-لقد أثار اندلاع الثورة التحريرية الكبرى جدلا واسعا في الأوساط الفرنسية وأزّم الوضع داخل البيت السياسي الفرنسي، بل وحتى المجتمع؛ فلم يعد الصراع حول قضية الجزائر قاصرا على الانقسام بين اليسار واليمين بل انضمت فئات واسعة تندّد بالحرب في الجزائر، والأهم من ذلك هو تركيبة هذه الشريحة التي كان كل عناصرها من الطبقة المثقفة[1]، وأوّل موقف عملي لهذه الفئة كان إصدار بيان يندّد بالتعذيب في الجزائر جمع توقيع 121 شخصية يمثلون رجال الفكر والأدب الفرنسي[2].

ثم راح بعض هؤلاء يحرّضون الشباب الفرنسي على رفض الخدمة العسكرية[3]، ومعارضة التجنيد، كما انضم رجال الكنيسة إلى صفّ المندّدين بالتعذيب، إضافة إلى النقابات التي لم يعجبها ما يحدث في الجزائر[4].

لقد كتب هنري علاّق في كتابه **"الجلاّدون"** وسارتر في كتابه **"عارنا في الجزائر"**، سيمون دي بوفوار **"ضدّ التعذيب في الجزائر"** عن بالأساليب أللإنسانية التي استعملها الفرنسيون ضدّ الجزائيين، وفيما يلي عرض لمواقف بعض المثقفين من التعذيب والبداية ستكون مع سارتر:

---

[1] -بيار هنري سيمون: ضد التعذيب في الجزائر، تر: بهيج شعبان، دار الملايين، بيروت لبنان، 1957م، ص66-67.

[2] -هيرفي هامون وباتريك روتمان، "حملة الحقائب" المقاومة داخل فرنسا للحرب الاستعمارية في الجزائر 1954-1962م، تر: حسن العودات ونور الدين سكوتي، دار الكلمة للنشر، بيروت- لبنان، ص92.

[3] -جون بول سارتر: عارنا في الجزائر،مصدر سابق ،ص33

[4] -محمّد لمين بلغيث: المرجع السابق.

كان سارتر من بين الـ 121 الموقعين للبيان الرافض للحرب في الجزائر، كما شارك في مظاهرة سلمية سنة 1961م نوفمبر، احتجاجا على ما فعلته السلطات الاستعمارية بمتظاهري السابع عشر أكتوبر 1961 في باريس[1].

وإضافة إلى نشاطات سارتر السياسية الداعمة للثورة الجزائرية، سال حبر **سارتر** كثيرا في هذا المجال؛ فقد كتب لكتاب فرانز فانون **"المعذّبون في الأرض"** مقدّمة عنيفة شديدة اللهجة على الاستعمار الفرنسي في الجزائر صرّح معلنا فيها أنّه سيدعم الثورة الجزائرية وحركات التحرر.[2]

كتب سارتر مسرحية "سجناء ألطونا" les Séquestrés d'Altona التي عرضت على المسرح سنة 1959م؛ والتي تناول فيها موضوع التعذيب بشكل مباشر إذ جعل الشخصية المحورية ضابطا نازيا يلجأ إلى التعذيب ليثبت نفسه.[3]

"عارنا في الجزائر"؛ هو الكتاب الذي أظهر فيه سارتر وحشية وعنصرية الجيش الفرنسي، والجرائم البشعة المرتكبة ضد الجزائريين، مما جاء فيه عن التعذيب والعنصرية والحقد الدفين في قلوب العساكر الفرنسية، فالجلاّد لا يهدف في كل الأحوال إلى انتزاع المعلومات من السجين، بل ليثبت لنفسه وللحاضرين بأنّه طرف مهيمن خاصّة بسماع صراخ الضحية الشديد نتيجة للتعذيب.[4] وفي نفس الكتاب وجّه سارتر نداءا للسلطات قائلا: "إذا كنّا نودّ أن نضع حدا لهذه الأعمال الوحشية القذرة

---

[1] –عبد المجيد عمراني: النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، دار الشهاب،باتنة، ص191.

[2] –مسعود طيبي: قراءات في كتابات جزائرية حول تنديد جون بول سارتر (1905–1970)بالجرائم الفرنسية في الجزائر(حوليات التاريخ والجغرافيا) ، مجلة تصدر عن مخبر التاريخ والجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة –بوزريعة– الجزائر، عدد خاص بالملتقى الوطني الثاني حول مظالم الاستعمار الفرنسي في الجزائر الذي احتضنته المدرسة العليا للأساتذة يومي 17–18 أفريل 2007م.، الجزائر، 2007، ص202.

[3] – موريس كرانستون: سارتر بين الفلسفة والأدب، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1975م، ص145.

[4] –جون بول سارتر: عارنا في الجزائر؛ ص ص60–61.

الكئيبة، وأن ننقذ فرنسا من العار وننقذ الجزائريين من الجحيم، فليس أمامنا إلاّ وسيلة واحدة أن نفتح المفاوضات ونعقد السلام".[1]

ومن الذين ندّدوا بالتعذيب في الجزائر ذلك الصحفي اليساري الذي انتهى به المطاف في سجون وطنه الأم فرنسا!؛ بلد الحريات التي أعلن فيها عن حقوق الإنسان ذات يوم، في زنزانات الجزائريين[2] وجد نفسه يسمع أنين وصراخ الصيد كما سمّاه الجلاّد "بول أوساريس Paul Oser esse"[3] يعذّب في نفس المكان وبنفس الوسائل التي رفض أن تمارس على الجزائريين "هنري علاّق Henri Allège " الذي واصل معركة الدفاع عن مبادئ فرنسا قبل الدفاع عن الجزائريين حتى بعد الاستقلال.

أعتقل **هنري** أوّل مرّة عام 1957م وتعرّض للتعذيب ووقف على واقعه من زاوية أقرب فطرح كتابه الأوّل حول الموضوع "**المسألة** la question" في السنة الموالية، ولكن السلطات الاستعمارية صادرته بعدما أصدر وزّعت منه 60 ألف نسخة، فتمّ إعادة نشره في سويسرا بعد أسبوعين؛ ليكون وثيقة هامّة في إدانة فرنسا أمام الرأي الدولي[4].

وقد تابع **هنري** الدفاع عن قضيته العادلة حتّى بعد الاستقلال؛ فتابع محاكمة مجرم الحرب "**بول أوساريس**"، كما أثار قضية تعذيب صديقه أستاذ الرياضيات " **موريس أودان Morris Odin** "

---

[1] -جون بول سارتر: نفسه،ص ص65-66.

[2] -عبد المجيد عمراني: جون بول سارتر...، مرجع سابق، ص100.

[3] -بول أوساريس: مصدر سابق، ص134.

[4] -فائزة مصطفى: "هنري علاّق مثقّف حارب الاستعمار إلى النهاية"، جريدة الأخبار،جويلية 2013م، العدد2062، بيروت.

الذي مات تحت التعذيب وتم إخفاء جثّته ولم يظهر عنها خبر وقد تسترت السلطات على هذه الجريمة[1].

كان التعذيب أهم شيء أثار حفيظة هؤلاء المثقفين، على اعتبار أنّه مساس بحق الإنسان بدرجة أولى، فكتب هنري علاّق **"الجلاّدون"**، وسارتر **"عارنا في الجزائر"**، وهنري سيمون **"ضدّ التعذيب في الجزائر"**، وفرانز فانون **"المعذّبون في الأرض"**، وعبروا عن استيائهم من كل ما يقع في الجزائر من بؤس واضطهاد على يد زبانية الجيش الفرنسي .

ولكن المؤرّخ الجزائري **محمّد لمين بلغيث** يجد ثغرة لهذه الصحوة المتأخرة التي أثبتت النصوص التاريخية أنّ هذه الطبقة لم تتحرّك اتجاه الموضوع بصورة ملفتة للانتباه إلاّ بعد 1957م، أي بعدما تعرّض بني جلدتهم للتعذيب **هنري علاّق**، و**موريس أودان** وقضية محاكمة **جونسون** لاحقا.[2]

---

[1] – شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982م، ص ص168–169.

[2] –محمّد لمين بلغيث: مرجع سابق.

الفصل الثالث: فرانسيس والثورة الجزائرية

المبحث الأوّل: تأسيس شبكة جونسون

1- التأسيس والأعضاء

2- مهام الشبكة.

المبحث الثاني: مصير الشبكة وصدى المحاكمة

1- المطاردة والإيقاع.

2- المحاكمة منبر لمناهضة الإستعمار.

سجّل التاريخ نضجا لحركات التحرّر في مطلع النصف الثاني من القرن الماضي، في وقت كان لقب "الإمبراطورية" قد أصبح ثوبا ثقيلا عجزت فرنسا عن جرّ أذياله، مغطوساً في وحل حركات التحرّر يلملم صداها شوائب الرأي العام لتلتصق به فيزداد ثقلاً، ولم يعد هناك حل غير التخلّي عن هذا الثوب، كما أنّ خلعه لا يكون إلاّ بإنزال الراية الثلاثية[1] من الأراضي المترامية عبر إفريقيا؛ فكانت تصفية الاستعمار.

انتزعت الهند الصينية استقلالها بقوّة الحديد والنّار سنة 1954م، وتخلّت فرنسا عن تونس والمغرب عام 1956م، ومدغشقر عام 1960م[2]، وغيرها من المستعمرات. في حين فضّلت الاحتفاظ بالجزائر؛ ذلك أنّه إذا كانت "الهند جوهرة التاج البريطاني" فإنّ الجزائر صولجان العرش الفرنسي وجوهرة تاجه. وقد شهد شاهد من أهلها بذلك حينما اعترف **ديغول** في مذكّراته بذلك قائلا: "فهي –أي الجزائر– تكتسي في مشاعر الفرنسيين الوطنية أهمية لا مثيل لها في أي من المستعمرات الأخرى".[3]

وقد دفعنا إلى استجلاء كلما سبق الرغبة في تتبّع كرونولوجيا الأحداث التي ساقت فرنسا إلى تجنيد أبنائها عندما اشتدّت وطأة الثورة الجزائرية، بعدما فقدت مواردها البشرية بفقدانها للمستعمرات. فزاد الأمر الطينة بلّة في وقت كان الرأي العام الفرنسي قد انقسم بين معارض ومؤيد لمواصلة الحرب في الجزائر وتدعّم الصف الثاني –صف المعارضين– بالأوساط الشعبية والمثقّفة في فرنسا بعدما مسّها الضر بتجنيد أبنائها الذين مافتئوا ينزلون بميناء الجزائر حتى تقضي عليهم الثورة، ودبّ الرعب في باريس من هذا الثعبان الذي أصبح يتصيّد أبنائها فيفقس البيض قبل أن تحضنه أمّه. شباب لا خبرة لهم في المعركة غير فراق أحضان أمّ أو حبيبة. خاصّة وأنّ مدرسة الهند الصينية التي تعلّم فيها جنرالات فرنسا افتراس كل من

---

[1] – المقصود هنا علم فرنسا المتكوّن من ثلاثة ألوان (أزرق، أحمر، أبيض) تعود إلى شعار الثورة الفرنسية 1789م الثلاثي: "حريّة– مساواة– أخوّة" الذي خدعت به العالم.

[2] –محمّد عبّاس: في كواليس التاريخ "دوغول والجزائر"، ج3، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ص225.

[3] –محمّد عباس: المرجع السابق، ص ص222.

سوّلت له نفسه الدفاع عن أرضه قد أغلقت باستقلال **الفيتنام**، وأصبحت فرنسا بين مطرقة الثورة وسندان الشعب الفرنسي.

المبحث الأوّل: تأسيس شبكة جونسون

1- التأسيس والأعضاء:

انتهى بنا المطاف في الفصل الثاني إلى انتقال **جونسون** إلى العمل الفعلي، فهو يعي يقينا أنّ "الأقوال تتجسّد في الأفعال"؛ وقد تجسّد هذا الفعل في تأسيس "**شبكة جونسون** Réseau Jeanson"، وأمّا عن تاريخ تأسيسها فإنّ الدراسة المتخصّصة حول الشبكة التي أنجزها كلاً من **هيرفي هامون وباتريك روتمان** Hervé Hamon et Patrick Rotman" لم توضّح تاريخاً محدّداً لتأسّيسها، ذلك أنّ نشاطها بدأ بشكل عفوي جاء كنتيجة حتمية لما سبقه من أحداث أهمّها؛ تمرّد الجنود الذين استدعوا إلى الخدمة العسكرية من جديد[1]، وصدور كتابه الذي أخرجه بالإشتراك مع زوجته كوليت **"الجزائر الخارجة عن القانون"** 1956م، والمساعدات التي كان جونسون وأصدقاؤه يقدّمونها لرجال جبهة التحرير FLNبنقلهم وإيوائهم[2].

بدأت هذه الخدمات إثر عودة جونسون إلى باريس في جويلية 1956م، وفي نفس الوقت كان "صالح الوانشي" على رأس فدرالية جبهة التحرير بفرنسا؛ الذي سبق وأن تعرفت عليه السيدة جونسون في الجزائر، استدرج هذا الأخير جونسون لسياقة سيارة تقلّ رجال الجبهة. وأثناء آدائه المهمّة تقرّب أكثر من الجزائريين فوسّع مساعدته لهم وبذلك أصبح في حاجة إلى من يتقاسم معه المهمّة فجنّد إلى جانب زوجته **كوليت**: **"مونيك كوهين"**، و**"إيتيان بولو"** أستاذ فلسفة في الثانوية، وزوجته **"بولا"**، بالإضافة إلى شابة شيوعية تدعى **"هيلين كوينا"**. ولكن لم يكن نشاط هؤلاء مهيكل ومنظّم ويتم بشكل عفوي

---

[1]- هيرفي هامون وباتريك روتمان: مصدر سابق،ص9.

[2]-هيرفي هامون وباتريك روتمان: نفسه، ص34.

دون اللجوء إلى السريّة، فقد قال جونسون بهذا الصدد: "كنت أرى أن العمل بصورة علنية في صميم الحياة العمومية هو أفضل طريقة لتغطية نشاطي".[1]

وقد تطوّرت دائرة هؤلاء المتطوّعين لتكتسي لقب الشبكة فيما بعد. ولذلك تحدّد **ماري بياراولوا** تاريخا رسميا لذلك حيث ذكرت أنّ الثاني من أكتوبر 1957م يعتبر التاريخ الرسمي لتأسيس شبكة جونسون؛ التي أصبحت مهيكلة حقّا بعد الجلسة التأسيسية في منزل جونسون بحضور أوائل عناصر الشبكة إضافة إلى الصحفية "**مونيك ديزاكور**" وزوجها، وثلاثة قساوسة: "**دافيزي**"، "**أورفاس**"، و"**ماميت**".[2]

ولاحقاً توسّعت هذه الفئة لتصبح شبكة بالفعل، مهمتها مساعدة الجزائريين بجمع الأموال وحملها إلى البنوك حتّى سميوا بـ: "حملة الحقائب Les porteurs de valises "، وأبرز أسماء الشبكة: **جاك بارتيلات** Jack Berthelet: عضو نشط في مجموعة التعاون الخاصة بالشبكة كان يقيم في سويسرا، من مهامه استقبال الفارين من الجيش الفرنسي طرد من السويس في جانفي 1960م.

جون ماري بوغهن Jean Marie Boeghi : هو صحفي كان يقوم بتأمين الحماية والتموين للجنود الفرنسيين المعارضين للحرب في الجزائر، كوّن شبكة مدينة ليون عام 1959م، حكم عليه 10 سنوات سجناً أقام بالجزائر بعد الاستقلال.

داني برجي Denis Berger: ينتمي إلى حركة المنشقين اليسارية، أنشأ سنة 1956م مجلة تسمى Tribune de Debat ألقي عليه القبض من طرف AST الفرنسية بعد عشرة ايام من هذا الانجاز النضالي كان مختص في مجال ما بعد التكوين ومهام الإختراق (Infiltration).

إيتيان بالو Etienne Balo: كان أستاذ في الفلسفة وهو من أوائل الأعضاء الناشطين في شبكة جونسون عام 1959م ألقي عليه القبض عام 1960م.

---

[1] -ماري بياراولوا: مصدر سابق، ص117.

[2] -ماري بيارالوا: مصدر سابق، ص118.

روبار بانيو Robert Bunnaud : أستاذ في التاريخ، دخل الجيش الفرنسي عام 1956م شارك في انتفاضة الجنود الفرنسيين الذين تمردوا ضد الادارة الاستعمارية بالجزائر، في أفريل 1957م نشر شهادة في مجلة الضمير "Esprit" بخصوص التعذيب وبربرية الاستعمار الفرنسي في الجزائر، إنظم إلى شبكة جونسون المتمركزة بمرسيليا عام 1959م[1].

سيمون بلومان Simmons Blumen: طرد من الحزب الشيوعي الفرنسي PCF لّما اختلف مع قيادة هذا الحزب بخصوص مواقفه إتجاه الثورة الجزائرية إنظم إلى الحكومة المؤقتة GPRA بتونس حكم عليه بعشر سنوات سجن وبعد سقوط شبكة حاملي الحقائب الفرنسية أقام بالجزائر بعد الاستقلال.

هلان قينات Helenne Ghenat: أستاذ في الأدب، توجهه يساري انظم إلى شبكة جونسون عام 1957م ألقي عليه القبض في فيفري 1960م حكم عليه بـ: 10 سنوات سجن هرب من السجن في فيفري عام 1960م أقام بالجزائر بعد الاستقلال[2].

هنري كيريال Henri Curiel : هو مصري الجنسية ومؤسس الحركة المصرية للتحرير MDLN بدأ في شبكة جونسون عام 1957م بعدها قاد مجموعة خاصة به، أغتيل في ماي 1978م.

ميشال رابيتس Michel Raptis **المدعو** Pablo: عمل كمتعاون مع جبهة التحرير الوطني بخصوص نقل الأسلحة إلى المغرب لحساب الثورة ألقي عليه القبض في جوان 1960م بهولندا.

وهناك أسماء أخرى نشطت ضمن شبكة جونسون كـ: **جاك فينيس** Jacques Vines و**سيسيل ماريو** Cecil Marion و **أورانت لويس** Orhant Louis **وجين كلود** Jean Claude.[3]

وحسب دراسة أنجزها أحد أعضاء الشبكة "**جاك شاربي** Jacques Charby " حول الشبكة تحت عنوان " **حملة الأمل** les porteurs d'espoir " فإنّ عدد أعضاء الشبكة قد بلغ مابين 2000

---

[1]- عن ملخّص كتاب "حملة الحقائب" الأنترنيت *mokhtari.over-blog.org/article*.

[2]- عن ملخّص كتاب "حملة الحقائب" الأنترنيت *mokhtari.over-blog.org/article*

[3]- عن ملخّص كتاب "حملة الحقائب" الأنترنيت *mokhtari.over-blog.org/article*

و3000 فرد، انظموا كلهم بقناعاتهم الفكرية والإيديولوجية، أي بدافع المبدأ وأغلبهم من الطبقة المثقفة.[1]

2- مهام الشبكة وأهميتها:

إنّ أوّل ما حرّك هؤلاء كان نفسه مهمتهم الأولى؛ الحفاظ على مبادئ فرنسا الحرّة، وتطهيرها من خطيئة جرم الإستعمار، ودعوة الشعب الفرنسي لإنقاذ فرنسا، وبناءاً على ذلك يمكن القول أنّ هؤلاء الذين سيتهمون فيما بعد بخيانة الوطن كانوا في الحقيقة هم أكثر الفرنسيين وطنية وغيرة على سمعتها.

سبق وأن ذكرنا أنّ مهمّة هؤلاء بدأت بمساعدة الجزائريين على التنقّل عبر حدود فرنسا، ثمّ تطوّرت إلى جمع الأموال[2] وكان ذلك أصعب المهام لأنّ نقل الأموال لا يكون إلاّ بتجميعها في نقطة واحدة بعد جبياتها[3]، وكثيرا ما كانت هذه الجباية تتم بالقوّة والمناوشات وتختلف قيمة الإشتراكات حسب الدخل الفردي للمواطنين فمثلا يدفع الموظّف البسيط2000 فرنك فرنسي، في حين يدفع التجّار مبلغا يتناسب مع قدرتهم. وقد كانت هذه الجباية تتمّ على حسب الوحدات الإدارية من الأحياء إلى البلديات والدوائر، فتؤخذ الأموال القادمة من مرسيليا وبوردو وليون إلى باريس في منازل خاصّة بالغرض ومنها إلى الحقائب المحمولة بأيادي شبكة جونسون، وقد كانت سجلّات المحاسبة بأيدي المناضلين الفرنسيين كما بلغت هذه الأموال سنة 1958م حوالي 400 مليون فرنك فرنسي شهريا ما يعادل ملأ ست أو ثماني حقائب.[4]

---

[1]- بن قدّور مليكة: مرجع سابق، ص126.

[2]- بوعلام نجادي: الجلادون 1954-1962م، منشورات ANEP، طبعة خاصّة بوزارة المجاهدين، الجزائر،2012م، ص206-207.

[3]-الطاهر جبلي: الإمداد بالسلاح خلال الثورة الجزائرية 1954- 1962م، دار الأمّة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص345.

[4]-ماري بياراولوا: مرجع سابق، ص119-120.

وعن صرف هذه الأموال فقد كانت تغطّي إحتياجات الثورة بصفة عامّة: مصاريف السفر والتذاكر والفنادق وشراء الأسلحة خاصّة وهي النقطة التي أثارت حفيظة الرأي العام الفرنسي.[1]

كما تكفّلت الشبكة باقتناء السيارات وتهريب أعضاء جبهة التحرير عبر الحدود الفرنسية إلى بلجيكا وسويسرا وألمانيا[2]، وأمّا عن حمل الأسلحة فقد تعتمت المادّة التي جمعنا عند هذه النقطة فلم تذكر أمرا واضحا؛ ولم يرد أمر كهذا في تحقيق **"حملة الحقائب"**، واكتفت صاحبة كتاب **"فرانسيس جونسون الفيلسوف المناضل"** بتوضيح رفض جونسون للكلام حول الموضوع.

وبالإضافة إلى المهام السابقة فإنّ عناصر شبكة جونسون كانوا ينشطون بأقلامهم ومحاضراتهم مواصلة لنصرة القضية التي آمنوا بعدلها.

ويمكن تلخيص أهمية دور الشبكة فيما يلي:

*كانت تضم حوالي عشرات الضبّاط وبدونهم لم تكن فدرالية جبهة التحرير تستطيع فعل شيئ[3]

*كانت تجمع حوالي 500 مليون فرنك فرنسي شهريا؛ يدعّم ميزانية الثورة.

*جنّبت الجزائر مغبّة الإستعانة ببعض البلدان التي قد تستغل الفرصة للتدخل في شؤونها الخاصّة وبذلك تكون قد منحت الجزائر استقلالية التوجهات السياسية.

*تغطية تكاليف الثورة والثوّار وكذا رجال الشبكة.

* حشد الرأي العام إلى جانب الثورة وخاصّة بعد المحاكمة.

---

[1] –هيرفي هامون وباتريك روتمان: مصدر سابق، ص107.

[2] –أحمد منغور: موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية1954–1962م ، دار التنوير، الجزائر، 2012م، ص210.

[3] - بوبكر حفظ الله: التموين والتسليح إبّان ثورة التحرير الجزائرية 1954–1962م، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013م، ص290.

المبحث الثاني: مصير الشبكة وصدى المحاكمة

تحت عنوان "**السقوط**" شرح صاحبا "حملة الحقائب" هذه الفترة العصيبة التي مرّت بها الشبكة وتعرّض أعضاؤها لمطاردة الشرطة في المقاهي والمطاعم وقاعات السينما، وتعرضّت بيوتهم للمداهمة والتفتيش، وصولا إلى سلسلة الاعتقالات التي استهدفت أعضاء الشبكة وانتهت بهم إلى المحاكمة الكبرى في 1960م.[1]

1- المطاردة والإيقاع:

في أفريل 1958م، داهمت الشرطة منزل الزوجين جونسون، ومن حينها لم تغفو عين الشرطة عن أعضاء الشبكة وبدأت المطاردة الفعلية من ربيع السنة الموالية، ودخلت الشبكة أيامها الحالكة لكن جونسون كعادته لا يكترث بل كان يستمتع بلعبة القط والفأر التي كان يمارسها مع الشرطة الفرنسية، في حين كان أعضاء الشبكة يتخوفون من إيجاد أنفسهم في لحظة ما وراء القضبان خاصّة النساء اللواتي كنّ ربّات بيوت وأمهات أطفال، لذلك جمع جونسون أعضاء الشبكة في أحد المطاعم وأصدر لهم التعليمات التالية: "حين يتبيّن لكم أنّ الشرطة لا تملك أدلّة ضدّكم عليكم بإنكار كل التهم الموجّهة إليكم، وبذل كلما في وسعكم للتخلّص من الورطة"[2].

وكان ذلك فعلاً فتم اختطاف "هيلين كوينا" في 20 فيفري 1960م، من قبل رجال مصلحة مراقبة التراب الوطني، في الوقت الذي كان جونسون وبعض عناصر الشبكة ينتظرونها في ضيعة غرب باريس وفي نفس اليوم ألقي القبض على "جاك شاربي" وهو في إجازة، وأُلحق به كل من: "جيرار مبير"، "جانين كاهين"، "جاكلين كاري"، "جون كلود بوبير"، "ميشلين بوتو"، "جاك تريبوتا"، والممثّل "بول كروشي"، ولكن لحسن الحظ كان زعيم الشبكة مايزال حرّا .[3]

---

[1]- هيرفي هامون وباتريك روتمان: مصدر سابق، ص153-174.

[2]-ماري بياراولوا: مرجع سابق، ص159.

[3]- ماري بياراولوا: مرجع سابق، ص 161-162.

في 15 أفريل 1960م نشّط جونسون ندوة صحفية ردّا على الاعتقالات التي تعرّض لها رفقاؤه في النضال طيلة الأشهر الماضية، وقد أبدى رباطة جأش لا مثيل لها، وشجّع هؤلاء الشباب الذين رفضوا الخدمة الوطنية وطمأنهم بعدم تأنيب الضمير على تمرّدهم لأنّ الأمر لا يستحق.

أصبح الحدث موضوعا رئيسيا في كل الصحف والجرائد مما استثار حفيظة الرأي العام الذي أدلى بدلوه في صفّ الاستنكار في الغالب.

ولم يستغرب جونسون موقف الرأي العام من عناصر الشبكة الذين اعتبروا خونة واتهموا بدعمهم لأعمال جبهة التحرير الإرهابية -على حد تعبير فرنسي بحت-، فراح يرد عملاً بقاعدة أحسن وسيلة للدفاع هي المبادرة بالهجوم مواصلاً حربه التي بدأ، رافضاً التراجع وأصدر كتابه "حربنا Notre Guerre" في 22 جوان من نفس السنة[1]، وجاء الكتاب ليبرّر صنيع أعضاء الشبكة، وقد كتبه جونسون وهو يختبئ من مطاردة الشرطة له، تزامنا مع ذياع صيت الرجل واستهلاك الصحف لقضية الشبكة بنهمٍ يوميا بعدما أصبحت مادّة دسمة للكتابة.

2-المحاكمة منبر لمناهضة الإستعمار:

في 5 سبتمبر 1960م مثَل مناضلون من شبكة جونسون[2] منهم 6 جزائريين و17 فرنسيا أمام المحكمة عسكرية، وكان خمسة من هؤلاء المناضلين فارّين من بينهم فرانسيس جونسون الذي حكم عليه غيابيا، وخلال ذات المحاكمة استدعت هيئة الدفاع المكونة من المحامين جاك فارجيس، رولون دوما، روبار بادينتار، وجيزال حاليمي الذين كان بعضهم من مجموعة محامي جبهة التحرير الوطني المؤطرين حول مراد أوصديق إلى منصة المحكمة بعض الموقعين على "بيان الـ:121" منهم إيدمون ميشلي، أندري مالرو، روبار بورون، جون بول سارتر، إضافة إلى فرونسوا مورياك، بول تايتجن، سيمون دي بوفوار ومارغريت دور[3].

---

[1]-فرانسيس جونسون: حربنا، تر: الدكتور ميشال سطوف، منشورات ANEP، الجزائر، 2006، ص6.

[2]-هيرفي هامون وباتريك روتمان : مصدر سابق، ص256.

[3]-"شبكة جونسون تحوّل محاكمتها إلى منبر لمناهضة الإستعمار"، جريدة صوت الأحرار، 31 أكتوبر 2009م، الجزائر.

أثارت هذه المحاكمة ضجّة كبيرة لاسيما وأنّ هذه الشبكة كانت تمثّل مصدر دعم لوجيستي مهم للثورة التحريرية الكبرى، وقد تميّزت قاعة المحكمة بحدوث نقاشات حادّة، وطرح حقائق جارحة تعبّر عن فضائح الإستعمار الفرنسي، كما أكّدت هذه الحقائق شجاعة بعض الفرنسيين الذين أعطوا صورة أدهشت الحاضرين داخل المحكمة حول حقائق الثورة الجزائرية، التي كان الرأي العام الفرنسي لا يعرف عنها الشيئ الكثير، وقد كان المتهمين من شرائح عدّة في المجتمع الفرنسي فهناك الأساتذة والممثلين والكتّاب، وقد أخذت أسماء هؤلاء الذين ينتمون لهذه الشبكة حيّزا كبيراً على صفحات الجرائد، وقد كان هدف المحكمة هو تسليط أقسى العقوبات على المتهمين لقطع الدعم اللوجيستي عن الثورة[1]

كان جونسون يعيش ضغطا عظيما وهو يغيب عن الجلسات، وقد تكفّل أصدقاؤه بوصله بما يحدث وتمكن بذلك من متابعة المحاكمة عن كثب، إلاّ أنّ ذلك لم يكن كافيا الأمر الذي أحبطه ودفعه إلى التفكير في تسليم نفسه ولكنه تجلّد، خاصّة بعد توجه الأنظار نحو هذه المحاكمة وصدور بيان المثقفين الـ121 الذي صدر في اليوم التالي لافتتاح محاكمة جونسون، حيث وقع 121مثقفا منهم شخصيات من عالم الفن والاستعراض والعلم والجامعة على غرار سارتر، أندري بروتون وفرونسواز ساغان، مارغريت دورا، ماندوز، فرانسوا ماسبير وغيرهم بيانا حول "حق العصيان في حرب الجزائر"، داعين الشباب المجند إلى رفض حمل السلاح ضد الشعب الجزائري الذي عقد العزم سنوات من قبل على تقرير مصيره عبر الكفاح المسلح[2].

ينتمي هؤلاء إلى مشارب سياسية مختلفة من أنصار جونسون إلى رافضين للحرب، إلى يساريين راغبين في الإنتقام؛ ومن أبرزهم "سارتر" و "سيمون دي بوفوار"[3]؛ وهو بيان أعربوا من خلاله عن تضامنهم مع شبكة جونسون وفيما يلي جزء منه: " إنّنا نقدّر ونثمّن موقف أولئك الذين يرفضون حمل السلاح ضدّ الشعب الجزائري؛ كما إنّنا نقدّر ونثمّن موقف الفرنسيين الذين يعتقدون أن من حقّهم

[1] -بوبكر حفظ الله: مرجع سابق، ص209.

[2] -"شبكة جونسون تحوّل محاكمتها إلى منبر لمناهضة الإستعمار"، مرجع سابق.

[3] -هيرفي هامون وباتريك روتمان: مصدر سابق، ص160.

توفير الدعم والحماية باسم الشعب الفرنسي، للجزائريين المقهورين"[1]، وممّا جاء في البيان قضية التهرّب من الخدمة الوطنية الأمر الذي عرّض بعض الذين أمضوا عليه للسجن كسارتر.

كان جونسون واجهة إعلامية منذ إلقاء القبض على عناصر الشبكة في فيفري 1958م، وفي سبتمبر 1960م، اتفق المحامون مع المتهمين الحاضرين في قفص الاتهام، ومع (فرانسيس جونسون)، الغائب، على وضع إستراتيجية تهدف إلى المماطلة في المحاكمة من أجل ربح نفس أطول، وخلال المحاكمة قام محامي جونسون "رولان دوما Roland Dumas" يوم 20 سبتمبر 1960م بإعلام الجميع أمام المحكمة أنّه تلقّى من "جون بول سارتر" المتواجد بالبرازيل تلغرافا ورسالة. جاء في التلغراف اعتذاره عن غيابه كشاهد مؤكّداً تضامنه الكامل مع المتهمين. وطلب المحامي "رولان دوما Roland Dumas" من رئيس المحكمة أن يأذن له بقراءتها على المحكمة فوافق على ذلك (أنظر الملحق رقم 02)[2].

كان لهذه الرسالة أثر في توسيع سمعة المحاكمة وتحويلها إلى منبر لمناهضة الاستعمار، وتدريجيا تحوّل العقاب إلى نقاش وتصفية حسابات بين المتهم والمعاقب، كما ساهمت الصحافة في الترويج للقضية "حملة الحقائب".

-بعد تسعة أشهر من المرافعة صدر الحكم (أنظر الملحق رقم 03) في حق "حملة الحقائب" عناصر "شبكة جونسون" يوم الفاتح أكتوبر 1960م، كالتالي:

*تبرئة ثمانية فرنسيين و جزائري واحد .

*الحكم بالسجن في حق ثلاث أعضاء من الشبكة مدّتها على التوالي(5سنوات)، (3سنوات)، (8أشهر)؛ أمّا العقوبات القصوى فصدرت في حق 14 متهم من بينهم حدّدا حمادة[3] ، وهيلين كوينا، وجون كلود بوبير، وسيسيل ماريون، وجاك فيني، ودومنيك داربو، وفرانسيس جونسون؛ مدّة العقوبة (10سنوات) سجنا وغرامة مالية قيمتها 70 ألف فرنك جديد، بالإضافة إلى حظر الإقامة لمدّة

[1] -ماري بيارالوا: مصدرسابق، ص209.

[2] -رشيد خطّاب: أصدقاء الخاوة، ص535.

[3] -منّسقا بفدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا.

5سنوات، وحرمانهم من الحقوق المدنية. أمّا جونسون فصدر ضدّه حكم غيابي، ولكن عندما اعتقلته شرطة جنيف رفقة "سيسيل ماريون" بتهمة الدخول الأراضي السويسرية بصورة غير شرعية، وبمقتضى قرار الطرد الصادر ضدّه في 23 أوت 1960م الذي يحظر عليه الإقامة في الأراضي السويسرية، إلاّ أنّ السلطات الفرنسية لم تطالب بتسليمه رغم أنّ إدانته لم يمضي على صدورها وقت طويل لأنّ قانون التسليم لا يسري على متهمي القضايا السياسية.[1]

كان للمحاكمة صدى واسعا فقد أرسلت أمانة الهيئة الإيطالية لمناهضة الإستعمار في 27 سبتمبر 1960م، ومقرّها في روما تؤكّد فيها تضامنها مع المتهمين. بينما عبّرت المركزية العامّة للخدمات العمومية، في بلجيكا عن إعجابها بنضال الرجل. كما ذاعت أخبار هذه المحاكمة في السويد فأرسلت المنظمة المركزية للعمّال السويديين برقية إلى "رولان دوما Roland Dumas"[2]. وبذا يكون صدى المحاكمة قد تجاوز فرنسا ليلفت نظر العالم إلى جريمة فرنسا الاستدمارية في الجزائر، وكشف النقاب عن حقائق تستّرت عليها فرنسا طويلاً.

إنّ ما يلفت النظر في قضية جونسون أكثر من ما قامت به الشبكة، أي الوقوف ضدّ السلطة الفرنسية، هو الاستفادة من المحاكمة التي حوّلت من عقوبة إلى دفاع، من محاولة السلطات الفرنسية القضاء على دعم الثورة، وتقديم درس لمن تسوّل له نفسه ضدّ سياسة الجرم الاستعماري، إلى مسرح لفضح السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وكشف الأسباب الحقيقية التي كانت وراء رفع الجزائريين للسلاح.

وما يثير الدهشة هنا هو موقف الفرنسيين على وجه الخصوص المعارضين منهم لما فعله عناصر الشبكة، لمدة تزيد عن القرن لم ينتفض أحد لحمل السلاح ضدّ شعب لم يصب فرنسا منه إلاّ كل خير، ولما فعل جماعة قامت الدنيا في فرنسا ولم تقعد.

---

[1] –مارسيل بيجو: محاكمة شبكة جونسون، تر: عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012م، ص299–300.

[2] –ماري بياراولوا: مصدر سابق، ص 223.

لم يرفض هذا الشعب الحر!! ما فعلته سلطتهم يوماً إلاّ عندما مسّ الضر أبناءهم، رفضوا الإبادة عندما أذاقتهم الثورة من الكأس التي يشرب منها الجزائريون يوميا، لما سمحت للشعب بالتعدّي على المعمرين والإنتقام منهم في هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955م، ورفضوا التعذيب عندما عذّب "هنري علاّق"، و"فرانز فانون"، بينما صمّت آذانهم عن أصوات أولئك الذين قهرهم سوط العسكر الفرنسي على امتداد أرجاء الإمبراطورية وخاصّة في ركن اسمه "الجزائر" ورفضوا التجنيد عندما جُنُّد أبناؤهم عنوة بعدما فقدت فرنسا مواردها البشرية، ولم يشفقوا يوما على كل أولئك الأفارقة الذين ظلّوا يساقون إلى ساحات الوغى طيلة القرن. وقد جاء الرفض لأسباب كما بيناّ أعلاه ومن طبقة لم تستفد من الاستعمار الفرنسي في الجزائر، أمّا الطبقة التي صنعت ثروة ووطنا على حساب الجزائر وأبنائها؛ فظلّت متمسّكة بالجزائر إلى آخر رمق من حياة الاستعمار في الجزائر، حتّى بعد استسلام ديغول للمسلّمات المحلية والعالمية، ورضوخه لاستقلال الجزائر، ظلّ المعمرون يستميتون رغبة في الحفاظ على الأرض التي صنعت عزّهم بكل الطرق والوسائل.

البيبليوغرافيا:

أوّلا: بالعربية

1-المصادر

-أجيرون شارل روبير: **تاريخ الجزائر المعاصرة**، تر: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982م.

- أوساريس بول: **شهاداتي حول التعذيب** المصالح الخاصّة في الجزائر 1957-1959م، تر، فرحات مصطفى، دار المعرفة، الجزائر.

- بياراولوا ماري: "**فرانسيس جونسون الفيلسوف المناضل**" من مقاومة الإحتلال النازي لفرنسا إلى مقاومة الإحتلال الفرنسي للجزائر؛ تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009م.

-جونسون فرانسيس: **حربنا**، تر: الدكتور ميشال سطوف، منشورات ANEP، الجزائر، 2006م.

- نايت بلقاسم مولود قاسم: ردود **الفعل الأولية داخليا وخارجيا على غرّة نوفمب**ر، دار الأمّة، الجزائر، 2007م.

- هامون هيرفي و روتمان باتريك ، **"حملة الحقائب"** المقاومة داخل فرنسا للحرب الإستعمارية في الجزائر 1954-1962م، تر: حسن العودات ونور الدين سكوتي، دار الكلمة للنشر، بيروت- لبنان.

-سارتر جون بول: **عارنا في الجزائر**، تر: عايدة وسهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، 1958م

-سيمون بيار هنري: **ضد التعذيب في الجزائر**، تر: بهيج شعبان، دار الملايين، بيروت لبنان، 1957م.

2- المراجع:

- الميلي محمّد: **فرانز فانون والثورة الجزائرية**؛ الطباعة الشعبية للجيش؛ الجزائر؛ 2007م

- الزبيري محمد العربي: **تاريخ الجزائر المعاصر(1954-1962)**، ج2، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق،1999م.

-بوحوش عمار ، **التاريخ السياسي للجزائر** من البداية و لغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، 1997م،ط1، بيروت.

-بيجو مارسيل: **محاكمة شبكة جونسون**، تر: عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012م.

- جبلي الطاهر: **الإمداد بالسلاح خلال الثورة الجزائرية 1954- 1962م**، دار الأمّة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

- حفظ الله بوبكر: **التموين والتسليح إبّان ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962م**، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013م.

.-حيفري عبد الحميد: **فرانز فانو بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته**؛ الطباعة الشعبية للجيش؛ الجزائر؛ 2007م.

- خطّاب رشيد: **الخاوة والرفاق** قاموس بيبوغرافي للجزائريين ذوي الأصل الأروبي واليهودي والحرب التحريرية الجزائرية (1954-1962)، تر: محمد رضا بوخالفة ونسرين لولي؛ دار خطاب.

-خطّاب رشيد: **أصدقاء الخاوة** الدعم العاملي للثورة قاموس بيبليوغرافي، تر: مصطفى ماضي، دار الخطاب، الجزائر، 2012م.

-طالب منّاد: **الفكر السياسي عند سارتر والثورة الجزائرية**؛ دار خطاب؛ الجزائر؛ 2006م.

- كرانستون موريس: **سارتر بين الفلسفة والأدب**، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان. - عبّاس محمّد: **في كواليس التاريخ "دوغول والجزائر"**، ج3، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011م.

- محمّد عويضة الشيخ كامل محمد: **جان بول سارتر فيلسوف الحرية**؛ دار الكتب العلمية؛ط1؛ بيروت لبنان؛1993م.

-منغور أحمد: **موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية1954-1962م** ، دار التنوير، الجزائر، 2012م،

-نجادي بوعلام: **الجلادون 1954-1962م**، منشورات ANEP، طبعة خاصّة بوزارة المجاهدين، الجزائر،2012م.

- عثماني مسعود: **الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب**، دار الهدى، الجزائر، 2012م.

-عبد المجيد عمراني: **النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية**، دار الشهاب، باتنة.

.- عبد المجيد عمراني: **جون بول سارتر والثورة الجزائرية**، مكتبة مدبولي.

-عمار عمّورة، **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة الجزائر، ط2002،1،.

- غالي الغربيّ: **فرنسا والثورة الجزائرية 1954-1958م**، غرناطة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

-شرفي عاشور : **قاموس الثورة الجزائرية (1954-1962)**، تر: عالم مختار، دار القصبة.

3-المجلاّت والدوريات:

-بلغيث محمّدالأمين: **موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب في الجزائر**(مجلة المصادر)، مجلة تصدر عن المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر 1954م، العدد الخامس، الجزائر، 2002م.

-فائزة مصطفى: "هنري علاّق مثقّف حارب الإستعمار إلى النهاية"، جريدة الأخبار،جويلية 2013م، العدد2062، بيروت

-طيبي مسعود: **قراءات في كتابات جزائرية حول تنديد جون بول سارتر بالجرائم الفرنسية في الجزائر**(حوليات التاريخ والجغرافيا) ، مجلة تصدر عن مخبر التاريخ والجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة- الجزائر، عدد خاص بالملتقى الوطني الثاني حول مظالم الإستعمار الفرنسي في الجزائر الذي احتضنته المدرسة العليا للأساتذة يومي 17-18 أفريل 2007م.

-"**شبكة جونسون تحوّل محاكمتها إلى منبر لمناهضة الإستعمار**"، جريدة صوت الأحرار، 31 أكتوبر 2009م، الجزائر.

4- الرسائل الجامعية:

-بن قدّور مليكة: **موقف المثقفين الفرنسيين من الثورة**، مذكّرة مقدمة لنيل شهادة المجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: د. كريم ولد النبية، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2010/2009م.

- منغور أحمد: **موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية**؛ رسالة لنيل شهادة المجستير في تاريخ الحركة الوطنية؛ جامعة منتوي –قسنطينة؛ 2005م.

5-الجرائد:

-الأخبار اللبنانية.

-صوت الأحرار الجزائرية.

ثانيا: الأجنبية

1- المصادر:

- Jeanson Colette et Francis: L Algérie hors la loi, Bibliothèque du maghreb,Edition ANEP,2006.
2- Harbi Mohamed et Meynier Gilbert: **Le FLN document et histoire 1954-1962**,Casbah edition, Alger, 2004.

2-المراجع:

- Hamouda Ouahiba: **Albert Camus a l épreuve d Alger Republicain** , office des publications universitaires,2002.

3-المجلاّت والدوريات:

-Jonson Francis: **« sur la narco-analyse, la medecine, et le for interieur »**, les Temps Modernes, aout 1952.

4-الجرائد:

-le journal d'alger.

- la dépêche quotidenne .

- Alger républicain.

فهرس الموضوعات

مقدّمة.....أ

مدخل:.....07

الفصل الأوّل: موقف النخبة الفرنسية المثقّفة من الثورة الجزائرية.....12

المبحث الأوّل: اندلا ع الثورة والنخبة الفرنسية المثقّفة.....13

الصحافة:.....14

رجال الفكر:.....15

المبحث الثاني: موقف النخبة الفرنسية المثقّفة من التعذيب في الجزائر:.....22

أساليب التعذيب في الجزائر:.....22

موقف المثقفين الفرنسيين من أساليب التعذيب:.....24

الفصل الثاني: فرانسيس جونسون وفكره السياسي:.....28

المبحث الأوّل: النشأة والتعليم:.....29

النشأة:.....29

التعليم:.....30

المبحث الثاني: فلسفته من خلال مؤلفاته وموقفه من الفكرة الكولونيالية:..... 32

جونسون والشيوعية:.....32

علاقته بالفكر الشخصاني:.....33

الثورة من خلال كتابات جونسون:.....34

موقفه من الفكرة الكولونيالية:.....36

الفصل الثالث: فرانسيس جونسون والثورة الجزائرية:.....39

المبحث الأوّل: تأسيس شبكة جونسون:.....41

التأسيس والأعضاء:.....41

مهام الشبكة:.....44

المبحث الثاني: مصير الشبكة وصدى المحاكمة:.....46

المطاردة والإيقاع:.....46

المحاكمة منبر لمناهضة الإستعمار.....47

خاتمة:.....52

الملاحق:.....54

الملحق 01: صورة لفرنسيس جونسون:.....54

الملحق 02: رسالة سارتر إلى محامي جونسون:.....55

الملحق 03: قرار المحكمة.....58

البيبليوغرافيا:.....60

الفهرس:.....65